

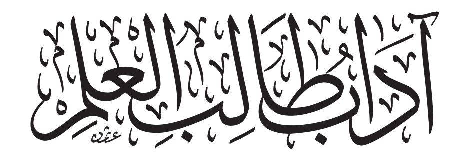
آداب طالب العلم



تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف


آداب طالب العلم

ⓗ عبد المحسن بن محمد القاسم ١٤٤٣هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد المحسن بن محمد

آداب طالب العلم. / عبد المحسن بن محمد القاسم - ط ١.

- المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ

٩٦ ص ؛ ١٧ x ٢٤سم

ردمك: ٤-١٠٨٠-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

١ـ الإسلام والعلم أ. العنوان

ديوي ٢١٩,٧ ١٤٤٣/٩٢٣٣

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٩٢٣٣

ردمك: ٤-١٠٨٠-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ ـ ٢٠٢٢م



تأليف
د. عبد المحسن بن محمد القاسم
إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

يمكن الاطلاع وتحميل جميع مؤلفات فضيلة الشيخ على الرَّابط:
a-alqasim.com/books/



المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.

أمَّا بعد:

فإنَّ تَعْلِيمَ العِلْمِ مِنْ مُهِمَّاتِ الرُّسُلِ، قَالَ تَعَالَى عَنْ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وَجَعَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ قُدْوَةً لِغَيْرِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾، وَأَمَرَنَا بِالتَّأَسِّي بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَالَ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ»[1].

وَكَانَ السَّلَفُ يَقْرِنُونَ تَعَلُّمَ الآدَابِ بِالعِلْمِ، قَالَ ابْنُ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الهَدْيَ كَمَا يَتَعَلَّمُونَ العِلْمَ»[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩١).

(٢) الجامع لأخلاق الرَّاوي وآداب السَّامع (١/ ٧٩).

وَطَالِبُ العِلْمِ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ بِالتَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَالتَّحَلِّي بِأَخْلَاقِهِ وَشَمَائِلِهِ أَدْعَى لِقَبُولِ دَعْوَتِه عِنْدَ النَّاسِ، فَتَأْثِيرُهُ عَلَى الآخَرِينَ بِأَدَبِهِ وَسَمْتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَفَضَائِلِهِ شَطْر مَا يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِ.

وَلِأَهَمِّيَّة تَذْكِيرِ طَالِبِ العِلْمِ بِحِلْيَةِ العِلْمِ وَزِينَتِهِ جَمَعْتُ آدَاباً لَا غِنَى لَهُ عَنْهَا فِي هَذَا الكِتَابِ، وَسَمَّيْتُهُ: «**آدَابُ طَالِبِ العِلْمِ**».

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الكَرِيم.

وصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

فَرَغْتُ مِنْهُ يَوْمَ عِيدِ الأَضْحَى

عَامَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ وَاثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ

خُطَّةُ الكِتَابِ

قَسَمْتُ الكِتابَ إلى فَصْلَيْنِ، وتحتَ كلِّ فصلٍ مَبَاحِثَ، وهي على النَّحْو الآتي:

الفَصْلُ الأَوَّلُ: أَهَمِّيَّةُ العِلْمِ وَفَضْلُهُ؛ وَفِيهِ مَبْحَثَانِ:

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: أَهَمِّيَّةُ العِلْمِ.

المَبْحَثُ الثَّانِي: فَضْلُ العِلْمِ.

الفَصْلُ الثَّانِي: آدَابُ طَالِبِ العِلْمِ؛ وَفِيهِ تِسْعَةُ مَبَاحِثَ:

المَبْحَثُ الأَوَّلُ؛ وَفِيهِ:

١. الإِخْلَاصُ.

٢. الخَوْفُ مِنَ الرِّيَاءِ.

٣. اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ.

المَبْحَثُ الثَّانِي؛ وَفِيهِ:

١. الدُّعَاءُ.

٢. نَوَافِلُ العِبَادَاتِ.

٣. قِيَامُ اللَّيْلِ.

٤. ذِكْرُ اللَّهِ.

٥. التَّوْبَةُ.

٦. الِاسْتِغْفَارُ.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ؛ وَفِيهِ:

١. بِرُّ الوَالِدَيْنِ.

٢. صِلَةُ الرَّحِمِ.

٣. قَضَاءُ حَاجَاتِ النَّاسِ.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ؛ وَفِيهِ:

١. حُسْنُ الخُلُقِ.

٢. الصِّدْقُ.

٣. سَلَامَةُ الصَّدْرِ.

المَبْحَثُ الخَامِسُ؛ وَفِيهِ:

١. الحِرْصُ عَلَى الوَقْتِ.

٢. الصَّبْرُ فِي طَلَبِ العِلْمِ.

٣. الصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ.

المَبْحَثُ السَّادِسُ؛ وَفِيهِ:

١. حُضُورُ دُرُوسِ العُلَمَاءِ.

٢. الإِكْثَارُ مِنَ الشُّيُوخِ.

٣. احْتِرَامُ العُلَمَاءِ.

٤. احْتِرَامُ الأَقْرَانِ.

المَبْحَثُ السَّابِعُ؛ وَفِيهِ:

١. العَمَلُ بِالعِلْمِ.

٢. القُدْوَةُ الحَسَنَةُ.

المَبْحَثُ الثَّامِنُ؛ وَفِيهِ:

١. تَعْلِيمُ النَّاسِ العِلْمَ.

٢. الِانْتِفَاعُ بِالوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ.

المَبْحَثُ التَّاسِعُ؛ وَفِيهِ:

١. الحَذَرُ مِنَ الفِتَنِ.

٢. البُعْدُ عَنِ المَعَاصِي.



الفَصْلُ الأَوَّلُ
أَهَمِّيَّةُ العِلْمِ وَفَضْلُهُ

وَفِيهِ مَبْحَثَانِ:

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: أَهَمِّيَّةُ العِلْمِ.

المَبْحَثُ الثَّانِي: فَضْلُ العِلْمِ.

أَهَمِّيَّةُ العِلْمِ

عُني الإسلامُ بالعِلْمِ أبلغَ عنايةٍ وأتمَّها؛ دعوةً إليه، وترغيباً فيه، وتعظيماً لقدره، وتنويهاً بأهله، وبياناً لآدابه، فهو أهم المُهمَّات؛ ومن دلائل أهمِّيَّتِه ما يلي:

١ - أوَّل آيةٍ أُنزلتْ على هذه الأمَّة في الحثِّ على العلم، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾.

٢ - هدايةُ الخلقِ وسعادتُهم بالعلم، وحاجتُهم إليه أشدُّ من حاجتِهم إلى المأكل والمشرب، قال الإمامُ أحمدُ رحمه الله: «النَّاسُ إلى العلمِ أَحْوَجُ منهم إلى الطَّعام والشَّراب؛ لأنَّ الرَّجلَ يحتاجُ إلى الطَّعام والشَّراب في اليوم مرَّةً أو مرَّتينِ، وحاجتُه إلى العلم بعدَدِ أنفاسِه»[١].

٣ - تعليمُ العلم من مُهمَّات الرُّسُل إلى أقوامِهِم، قال سبحانه عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

وقال تعالى عن نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾، وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٤٠).

رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾، فالهُدَى: هو العلم النَّافع، ودِين الحقِّ: هو العمل الصَّالح.

٤ - العلمُ سابقُ العمل ودليلُه، فلا تصحُّ الأعمالُ ولا تُقبَلُ إلا بالعِلْم، قال سبحانه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾.

٥ - العلمُ الَّذي أثنى اللَّهُ عليه هو العلمُ الشَّرعيُّ، وما سواه وسيلةٌ إليه؛ كعلم النَّحو، أو مُعِينٌ عليه؛ كالعلومِ الدُّنيويَّة، قال ابن رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأفضلُ العلمِ: العلمُ باللَّه، وهو العلمُ بأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه، الَّتي تُوجِبُ لصاحبِها معرفةَ اللَّه وخشيتَه ومحبَّتَه وهَيْبَتَه وإجلالَه وعظمتَه، والتَّبَتُّلَ إليه والتَّوكُّلَ عليه، والرِّضا عنه، والاشتغالَ به دون خلقه، ويتبع ذلك العِلْم بملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ وتفاصيل ذلك، والعلم بأوامر اللَّه ونواهيه وشرائعه وأحكامه، وما يحبّه من عباده من الأقوال والأعمال الظَّاهرة والباطنة، وما يكرهه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ومَنْ جَمعَ هذه العلوم فهو من العُلَمَاء الرَّبَّانيِّينَ - العُلَماء باللَّه، العُلَماء بأمر اللَّه -»[1].

٦ - لِأهمِّيَّة العلمِ أمَرَ اللَّهُ نبيَّه ﷺ بالتَّزوُّد منه؛ فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾.

ونصيحةُ العلماء هي: التَّزوُّد من العلم، قال ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٤١).

«وما أزال أُحرِّضُ النَّاسَ على العِلْم؛ لأنَّه النُّورُ الَّذي يُهتدَى به»[١].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ واضح الدَّلالة في فضل العِلْم؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى لم يَأْمُر نبيَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطلبِ الازدياد من شيءٍ إلا من العِلْم، والمراد بالعِلْم: العِلْم الشَّرعيّ الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلَّف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم باللَّه وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النَّقائص، ومدارُ ذلك على التَّفسير والحديث والفقه»[٢].

٧ - إذا ظهر العلمُ في بلدٍ كَثُرَ فيه الخير، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَما خَرَابُ العالَمِ إلَّا بالجَهْل، ولا عِمَارَتُهُ إلَّا بالعِلْم، وإذا ظهر العِلمُ في بلدٍ أو مَحَلَّةٍ قلَّ الشَّرُّ في أهلِها، وإذا خَفِي العِلمُ هناك ظهر الشَّرُّ والفسادُ، ومَنْ لَمْ يعرِفْ هذا فهو ممَّنْ لم يجعلِ اللَّه له نوراً»[٣].

***

(١) أحكام النساء (ص٢٢).

(٢) فتح الباري (١/ ١٤١).

(٣) إعلام الموقعين (٣/ ٥٨٠).

فَضْلُ العِلْمِ

طلبُ العِلْمِ والاستزادةُ منه شرفٌ لا يُضاهى، وفضلٌ لا يُحدُّ؛ ومن دلائل فضلِه:

١ - طلبُ العِلْمِ عبادةٌ عظيمةٌ، قال الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما عُبِدَ اللَّهُ بشيءٍ أفضل من العِلْمِ»[١].

٢ - منزلةُ الخشية لا يَنالُها إلَّا العُلَماء، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾.

٣ - مَنْ أراد اللَّهُ به خيراً فقَّهَه في الدِّين، قال الرَّسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» متفق عليه[٢]، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكلُّ مَنْ أراد اللَّهُ به خيراً لا بدَّ أن يُفَقِّهَهُ في الدِّين، فمن لم يُفَقِّهْهُ في الدِّين؛ لم يُرِدِ اللَّهُ به خيراً»[٣]، وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يكونُ من أهلِ السَّعادةِ إلَّا مَنْ فقَّهَه في الدِّين»[٤].

٤ - بالعِلم رفعةُ الدَّرجاتِ في الحياةِ وبعد المَمَات، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ٣٤٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، بابٌ من يرد اللَّه به خيراً يفقهه في الدِّين، رقم (٧١)، ومسلم، كتاب الزَّكاة، باب النَّهي عن المسألة، رقم (١٠٣٧)، من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٨/ ٨٠).

(٤) جامع المسائل (١/ ١٣٢)

«ولو لم يكن في العلم إلَّا القُرْب من ربِّ العالمين، والالتحاقُ بعالم الملائكة، وصحبةُ الملأ الأعلى؛ لكَفَى به فَضْلاً وشَرَفاً، فكيف وعزُّ الدُّنيا والآخرةِ مَنوطٌ به، ومَشْروطٌ بحصولِه؟!»[(١)].

٥ - مَنْ سلك طريقَ العِلم بنيَّةٍ صافيةٍ وَجدَ مُتعَة قلبِه فيه، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا يَصنَعُ أعدائِي بي؟ أنا جَنَّتي وبُسْتَانِي في صدري، إن رُحتُ فهي معي لا تُفارِقُني»[(٢)].

٦ - العلمُ أيسرُ طريقٍ إلى الجنَّة، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً؛ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّة» رواه مسلم[(٣)].

٧ - طريقُ العلم سهلٌ يسيرٌ: حِفظٌ لكتابِ اللَّه العظيم، وسنَّةِ النَّبيِّ ﷺ، ومختاراتٍ من متونِ أهل العِلْم، مع فَهْمِ ما تقدَّم، والعمل به، ومَنْ زاد في طلبِه زادت رِفعَتُه، وبهذا ينال المرء رضا اللَّه وأعاليَ الجِنان.

٨ - نَفْعُ العِلمِ يَلحَقُ صاحبَه بعد الموت، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» رواه مسلم[(٤)].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٠٤).

(٢) الوابل الصيب (ص٤٨).

(٣) كتاب الذِّكْر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكْر، رقم (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) كتاب الوصيَّة، باب ما يلحق الإنسان من الثَّواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٩ - أَدركَ السَّلفُ فضلَ العِلمِ فأقبلوا عليه، قال ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «أدركت بالكوفة أربعةَ آلافِ شابٍّ يطلبون العلمَ»[١].



(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١١٣).

الفَصْلُ الثَّانِي
آدَابُ طَالِبِ العِلْمِ

وَفِيهِ تِسْعَةُ مَبَاحِثَ:

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: الإِخْلَاصُ، الخَوْفُ مِنَ الرِّيَاءِ، اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ.

المَبْحَثُ الثَّانِي: الدُّعَاءُ، نَوَافِلُ العِبَادَاتِ، قِيَامُ اللَّيْلِ، ذِكْرُ اللَّهِ، التَّوْبَةُ، الِاسْتِغْفَارُ.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: بِرُّ الوَالِدَيْنِ، صِلَةُ الرَّحِمِ، قَضَاءُ حَاجَاتِ النَّاسِ.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ: حُسْنُ الخُلُقِ، الصِّدْقُ، سَلَامَةُ الصَّدْرِ.

المَبْحَثُ الخَامِسُ: الحِرْصُ عَلَى الوَقْتِ، الصَّبْرُ فِي طَلَبِ العِلْمِ، الصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ.

المَبْحَثُ السَّادِسُ: حُضُورُ دُرُوسِ العُلَمَاءِ، الإِكْثَارُ مِنَ الشُّيُوخِ، احْتِرَامُ العُلَمَاءِ، احْتِرَامُ الأَقْرَانِ.

المَبْحَثُ السَّابِعُ: العَمَلُ بِالعِلْمِ، القُدْوَةُ الحَسَنَةُ.

المَبْحَثُ الثَّامِنُ: تَعْلِيمُ النَّاسِ العِلْمَ، الِانْتِفَاعُ بِالوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ.

المَبْحَثُ التَّاسِعُ: الحَذَرُ مِنَ الفِتَنِ، البُعْدُ عَنِ المَعَاصِي.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

وَفِيهِ:

١. الإِخْلَاصُ.

٢. الخَوْفُ مِنَ الرِّيَاءِ.

٣. اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ.

الإِخْلَاصُ

١ - أَمَرَ اللَّه رَسولَه ﷺ بالإخلاص، فقال: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾، وأَمَره أن يبيِّن للنَّاس أنَّ عبادته للَّه قائمة على الإخلاص: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾.

٢ - أَخْلِص النِّيَّة للَّه في طلبِ العلم؛ بأن تَنْوِيَ رَفْع الجهل عن نفسك، وتحقيقَ رضا اللَّه بالقيام بهذه العبادة الجليلة، والسَّيْرَ على خُطا الأنبياء في تبليغ العلم للنَّاس.

٣ - إخلاصُ الأعمال للَّه أمرٌ عزيزٌ، فاسْتَعِن باللَّه على تحقيقِه بالدُّعاء، قال ابن الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أقلَّ مَنْ يعمل للَّه تعالى خالصاً؛ لأنَّ أكثر النَّاس يُحبُّون ظهور عباداتهم»[١].

٤ - إخفاءُ الأعمالِ الصَّالحةِ من علامة الإخلاص، فكلَّمَا استتر العمل ممَّا يُشرَع إخفاؤُه؛ كان أرجى للقَبول، والمُخلِصُ الصَّادقُ يُحِبُّ إخفاءَ حسناتِه؛ كما يُحِبُّ العاصي إخفاء سيِّئاتِه، قال النَّبيُّ ﷺ - في السَّبعة الَّذين يُظلُّهم اللَّه في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه -: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**» متفق عليه[٢]، قال بِشْرُ بن الحارث رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا

---

(١) صيد الخاطر (ص٢٦٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، رقم (٦٦٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فَضْل إخفاء الصدقة، رقم (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تَعْمَلْ لتُذكَر، اكتُم الحسنةَ كما تَكتُم السَّيِّئة»[١].

٥ - احْتَقِرْ أعمالَك الصَّالحة، وخَفْ من عدم قَبولها، فآفة العبد رضاه عن نفسه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «والعارفُ مَنْ صَغُرَتْ حسناتُه في عينِه، وعَظُمَتْ ذنوبُه عندَه، وكلَّما صَغُرَت الحسناتُ في عينِك كَبُرَتْ عندَ اللَّه، وكلَّما كَبُرَتْ وعَظُمَتْ في قلبِك قلَّتْ وصَغُرَتْ عندَ اللَّه»[٢].

٦ - المُؤمنُ لا يُغَيِّره ثناء النَّاس ولا يَغترّ بذلك، فإذا فعل الطَّاعةَ وأثنَوْا عليه خيراً لم يَزِدْه ذلك إلَّا تواضعاً وخشيةً من اللَّه، قال ابن الجَوْزيِّ رحمه الله: «تَرْكُ النَّظر إلى الخلق، ومَحْوُ الجاه من قلوبهم بالعمل، وإخلاص القصد، وسَتر الحال؛ هو الذي رَفعَ مَنْ رَفعَ»[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٧٦).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٧٦).

(٣) صيد الخاطر (ص٢٦٤).

الخَوْفُ مِنَ الرِّيَاءِ

١ - مِن شرْط قَبول العمل الصَّالح سلامتُه من الشِّركِ والرِّياء؛ لمنافاتهما التَّوحيد.

٢ - خاف النَّبيُّ ﷺ على أصحابه الرِّياء - مع عِلْمِهم وفضلِهم -؛ فغيْرُهم أَوْلَى بالخوف، قال أبو سعيدٍ الخُدريُّ رضي الله عنه: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟** قَالَ: قُلْنَا بَلَى، فَقَالَ: **الشِّرْكُ الخَفِيُّ؛ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**» رواه ابن ماجه[1].

قال الشَّيخ سليمان بن عبد اللَّه آل الشيخ رحمه الله: «الرِّياء أخوفُ على الصَّالحين من فتنة الدَّجَّال»[2].

أمَّا الأعمال غير الصَّالحة فلا رياء فيها؛ وإنَّما يدخل فيها الشُّهْرَة، أو العُجْب، أو الفَخْر، أو الكِبْر، ونحو ذلك.

(١) كتاب الزُّهد، باب الرِّياء والسُّمعة، رقم (٤٢٠٤).
(٢) تيسير العزيز الحميد (ص٤٦١).

اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ

١ - في اتِّباع النَّبيِّ ﷺ سعادةُ الدُّنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَعادةُ العبادِ في مَعاشِهِم ومَعادِهِم باتِّباع الرِّسَالَة»[١].

٢ - أكملُ النَّاس توحيداً أكملُهم اتِّباعاً للنَّبيِّ ﷺ، ومَنْ فاته جزءٌ من الاتِّباع فاتَه جزءٌ من التَّوحيد، ومَنْ لم يستجِبْ للَّه استجابَ لغير اللَّه وأذلَّه المخلوق، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكلَّما كان الرَّجلُ أتْبَعَ لمُحمَّدٍ ﷺ؛ كان أعظمَ توحيداً للَّه وإخلاصاً له في الدِّين، وإذا بَعُد عن مُتابعته؛ نقصَ من دينِه بحسَبِ ذلك»[٢].

٣ - كان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتَّبعُون هَدْيَ النَّبيِّ ﷺ عن إيمانٍ ويقينٍ راسِخ، قال رافعُ بن خَدِيجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعاً، وَطَوَاعِيَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا» رواه مسلم[٣].

٤ - كان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقتدون بأفعال النَّبيِّ ﷺ أُسوةً به، قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «اصْطَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ، وَكَانَ يَلْبَسُهُ فَيَجْعَلُ فَصَّهُ فِي بَاطِنِ كَفِّهِ، فَصَنَعَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ، ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ فَنَزَعَهُ،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٩/ ٩٣).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٧/ ٤٩٨).

(٣) كتاب البيوع، باب كراء الأرض بالطعام، رقم (١٥٤٨).

فَقَالَ: **إِنِّي كُنْتُ أَلْبَسُ هَذَا الخَاتَمَ، وَأَجْعَلُ فَصَّهُ مِنْ دَاخِلٍ**، فَرَمَى بِهِ، ثُمَّ قَالَ: **وَاللَّهِ لَا أَلْبَسُهُ أَبَداً**، فَنَبَذَ[١] النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ» متفق عليه[٢].

٥ - التَّردُّدُ في الاتِّباع أو الكسلُ فيه يُنافِي كمالَ الامتِثال، ومَنْ قدَّم قولاً على قولِ النَّبيِّ ﷺ لم يكُن من المُستجيبين له، وفي الآخرة: «**كُلُّ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ؛ إِلَّا مَنْ أَبَى**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: **مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**» رواه البخاري[٣].

❋❋❋

(١) أي: طَرَح. منحة الباري (١٠/ ٢٨٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب اللِّباس، باب خاتَم الفضَّة، رقم (٥٨٦٦)، ومسلم، كتاب اللِّباس والزِّينة، باب طَرْح خاتَم الذَّهب، رقم (٢٠٩١).

(٣) كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب الاقتداء بسنن رسول اللَّه ﷺ، رقم (٧٢٨٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المَبْحَثُ الثَّانِي

وَفِيهِ:

١. الدُّعَاءُ.

٢. نَوَافِلُ العِبَادَاتِ.

٣. قِيَامُ اللَّيْلِ.

٤. ذِكْرُ اللَّهِ.

٥. التَّوْبَةُ.

٦. الِاسْتِغْفَارُ.

الدُّعَاءُ

الدُّعاء مشروعٌ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، ويُشرَعُ للمسلمِ أن يدعوَ ربَّه بكلِّ شيءٍ ما لَمْ يكن إثماً؛ ومن الأدعية التي يُستحبُّ للمسلم الإكثار منها:

١ - سؤالُ اللَّه الإخلاص، وقد كان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يقول في دعائه: «اللَّهمَّ اجعلْ عَمَلي صالحاً، واجعلْه لوجهِك خالصاً، ولا تجعلْ لأحدٍ فيه شيئاً»[1].

٢ - سؤالُ اللَّه الهداية والسَّداد، قال النَّبيُّ ﷺ لعَلِيِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: «**قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ**» رواه مسلم[2].

٣ - الدُّعاء بالعلم النَّافع والعمل الصَّالح، فاللَّهُ سبحانه أَمَر نبيَّه ﷺ أن يسألَه الزِّيادة من العلم؛ فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

٤ - الدُّعاء بخيرَي الدُّنيا والآخرة، قال أنسٌ رضي الله عنه: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: **اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً،**

(١) رواه أحمد في الزهد (ص٩٧)، رقم (٦١٧).
(٢) كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب التَّعوُّذ من شرِّ ما عَمِل ومن شرِّ ما لم يَعمَل، رقم (٢٧٢٥).

وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» متفق عليه[١].

وغير ذلك من الأدعية النَّبويَّة الجامعة.

(١) رواه البخاري، كتاب الدَّعَوَات، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً»، رقم (٦٣٨٩)، ومسلم، كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب فضل الدُّعاء بـ«اللَّهمَّ آتنا في الدُّنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقِنَا عذاب النَّار»، رقم (٢٦٩٠).

نَوَافِلُ العِبَادَاتِ

١ - نوافل العبادات من أسباب محبَّة اللَّه ﷻ للعبد، قال النَّبيُّ ﷺ في الحديث القُدسيِّ: «**ومَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**» رواه البخاري[١].

٢ - النَّوافلُ تجبُر نَقْصَ الفرائض، قال رسول اللَّه ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ صَلَاتُهُ، فَإِنْ كَانَ أَتَمَّهَا كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَتَمَّهَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَتُكْمِلُوا بِهَا فَرِيضَتَهُ؟ ثُمَّ الزَّكَاةُ كَذَلِكَ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ**» رواه أحمد[٢].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنْ قَصَّرَ في قضاءِ الفَوَائِت، فليَجْتَهدْ في الاستكثار من النَّوافل، فإنَّه يُحاسَبُ بها يومَ القيامة»[٣].

٣ - كان السَّلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ يُكثِرون من التَّعبُّد للَّه، ومِنْ سيرتهم العَطِرة في ذلك:

أ. قال الإمام البُخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما وَضَعتُ في كتابي الصَّحيح حديثاً

(١) كتاب الرِّقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) في المسند، رقم (١٦٦١٤)، عن رَجلٍ من أصحابِ رسول اللَّه ﷺ.
(٣) جامع المسائل (٤/ ١٠٩).

إلَّا اغتسلتُ قبل ذلك، وصلَّيتُ ركعتين[١]، وقال: صنَّفتُ الصَّحيح في ستَّ عشرة سَنَة، وجعلتُهُ حُجَّةً فيما بيني وبين اللَّه تعالى»[٢].

ب. قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحضرتُ شيخ الإسلام ابن تيمية مرَّة صلَّى الفجر، ثمَّ جلس يَذكُر اللَّه تعالى إلى قريبٍ من انتصافِ النَّهار، ثمَّ التفتَ إلي وقال: هذه غَدْوَتي[٣]، ولو لم أتغدَّ الغداء سقطت قوَّتي، أو كلاماً قريباً من هذا، وقال لي مَرَّة: لا أترك الذِّكْر إلَّا بِنيَّة إِجْمَام نَفْسِي[٤] وإِرَاحَتِهَا؛ لأستعدَّ بتلك الرَّاحة لذِكْرٍ آخَر، أو كلاماً هذا معناه»[٥].

ج. قال ابن كثيرٍ عن ابن القيِّم رَحِمَهُمَا اللَّهُ: «ولا أعرفُ في هذا العَالَم في زمانِنا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصَّلاة؛ يُطِيلُها جدّاً، ويَمُدُّ ركوعها وسجودها، ويَلُومُه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يَرجِع»[٦].

فاشغَلْ نفسَك بعبادةِ اللَّه؛ بالمحافظَةِ على الفرائض، وملازمةِ النَّوافل؛ كالسُّنَنِ الرَّواتِب، والوِتْر، وتلاوةِ القرآن، والاستغفارِ بالأسحار.

وأَلزِمْ نفسَك ساعةً تَجلسُها في المسجد للذِّكْر، وأَحسَنُ ما يكون: بعد صلاة الصُّبح إلى طلوع الشَّمس.

---

(١) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَميعُ أحادِيثِه بالمكرَّر سوى المُعلَّقات والمُتَابَعات على ما حرَّرتُه وأتقنتُه: سَبْعَة آلاف وثَلاث مئة وسبعة وتسعون (٧٣٩٧) حَديثاً». فتح الباري (١/ ٤٦٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٢).

(٣) الغدوة: طعام أول النهار. تاج العروس (٣٩/ ١٤٨).

(٤) أي: ذَهَاب تَعَبِي. تاج العروس (٣١/ ٤٢٧).

(٥) الوابل الصيب (ص٤٢).

(٦) البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٥).

قِيَامُ اللَّيْلِ

١ - أَمَرَ اللَّهُ رسوله ﷺ أن يقومَ اللَّيل؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾، وكان النَّبيُّ ﷺ والصَّحابةُ رضي الله عنهم يقومون للصَّلاة ليلاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ﴾.

٢ - عاتَبَ النَّبيُّ ﷺ مَنْ تركَ قيام اللَّيلِ مِنْ صغار الصَّحابة، قال عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: **يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**» متفق عليه[١].

٣ - على المسلم أن يغتنم كلَّ ليلةٍ الثُّلثَ الأخيرَ من اللَّيل بالصَّلاة والاستغفار، فهو زمنُ نزولِ الرَّبِّ عز وجل إلى السَّماء الدُّنيا - كما يليق بجلاله وعظمته -، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**» متفق عليه[٢].

---

(١) رواه البخاري، كتاب التهجُّد، باب ما يُكرَه من تَرْك قيام اللَّيل لمَن كان يقومه، رقم (١١٥٢)، ومسلم، كتاب الصِّيام، باب النَّهي عَنْ صوم الدَّهر لمَن تضرَّر به أو فَوَّت به حقّاً، رقم (١١٥٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب التَّهجُّد، باب الدُّعاء في الصَّلاة من آخر اللَّيل، رقم (١١٤٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب التَّرغيب في الدُّعاء والذِّكْر في آخر اللَّيل والإجابة فيه، رقم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٤ - قيامُ اللَّيل من أسباب دخول الجنَّة، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وقال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» رواه ابن ماجه[1].

(١) كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام، رقم (٣٢٥١)، من حديث عبد اللّه بن سَلَام رضي الله عنه.

ذِكْرُ اللَّهِ

١ - الذِّكْر من أفضل العبادات وأيسرِها، وحركةُ اللِّسان أخفُّ حركاتِ الجوارح وأيسرُها، ولو تحرَّك عضوٌ من الإنسان في اليومِ واللَّيلةِ بقَدْرِ حركةِ لسانِه؛ لَشقَّ عليه غاية المشقَّة، بل لا يُمكِنه ذلك.

٢ - أمر اللَّه بالإكثار من ذِكْرِه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا * وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾، وأخبر أنَّه سببُ الفلاح، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

٣ - مَنْ ذَكَر اللَّه ذكَرَهُ ربه سبحانه، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**» متفق عليه[١].

٤ - كثرةُ الذِّكْر سببُ محبَّة اللَّه للعبد، فمَنْ أراد أن ينالَ محبَّةَ اللَّه ﷻ فليُكثِرْ من ذِكْرِه.

٥ - دوامُ ذِكْر اللَّه يُوجِب الأمانَ من نسيانِه الَّذي هو سببُ شقاء العبد في مَعاشه ومَعادِه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «ولَوْ لَمْ يكنْ في فوائِدِ

---

(١) رواه البخاري، كتاب التَّوحيد، باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾، رقم (٧٤٠٥)، ومسلم، كتاب الذِّكْر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب الحثِّ على ذِكْر اللَّه تعالى، رقم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الذِّكْر وإدامتِه إلَّا هذه الفائدة وحدَها؛ لكَفَى بها، فمَن نَسِيَ اللَّه تعالى أَنْسَاه نفسه في الدُّنيا، ونَسِيَه في العذاب يوم القيامة»[١].

(١) الوابل الصيب (ص٤٦).

التَّوْبَةُ

١ - التَّوبةُ عبادة من أجلِّ العبادات، تُكفِّرُ السَّيِّئات وترفعُ الدَّرجات، ولا يَكمُلُ عبدٌ ولا يَحصُل له كمالُ قربٍ من اللَّه إلَّا بها، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أكثَرُ النَّاس لا يعرفون قَدْرَ التَّوبةِ ولا حقيقتَها»[(١)].

٢ - التَّوبةُ سببُ الفلاح، قال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويُغلَق باب الشُّرور بالتَّوبة والاستغفار»[(٢)]، ومَنْ لم يُؤَدِّ تلك العبادةَ كان ظالماً لنفسه، قال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

٣ - مِنْ كَرَمِه سبحانه أنَّ هذه العبادة تُؤَدَّى في كلِّ مكانٍ وزمانٍ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**» رواه مسلم[(٣)].

وكان النَّبيُّ ﷺ يَدْعُو في المجلس الواحد مئة مرَّة: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**» رواه أبو داود[(٤)].

---

(١) مدارج السالكين (ص٣١٣).
(٢) زاد المعاد (٤/ ١٨٦).
(٣) كتاب التَّوبة، باب قَبول التَّوبة من الذُّنوب وإن تكرَّرت الذُّنوب والتَّوبة، رقم (٢٧٥٩)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم (١٥١٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٤ - يَفْرَحُ اللَّه ﷻ بتوبةِ العبد ورجوعِه إليه، قال ﷺ: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا**» رواه مسلم(١).

٥ - كان النَّبيُّ ﷺ يَفْرَحُ بتوبة التَّائب، قال كعب بن مالك رضي الله عنه: «لَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ» متفق عليه(٢).

٦ - خيرُ يومٍ في عُمُر العبد: يومُ توبتِه، قال النَّبيُّ ﷺ لكَعْبِ بن مالكٍ رضي الله عنه لَمَّا قَبِل اللَّه توبتَه: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**» متفق عليه(٣).

٧ - كان الصَّحابة رضي الله عنهم يُهَنِّئُ بعضُهم بعضاً بالتَّوبة؛ لأنَّها نعمة عظيمة، قال كعب رضي الله عنه: «وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا(٤)، حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الفَجْرِ، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجاً فَوْجاً يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ

---

(١) كتاب التَّوبة، باب في الحضِّ على التَّوبة والفرح بها، رقم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النَّبيِّ ﷺ، رقم (٣٥٥٦)، ومسلم، كتاب التَّوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبَيْه، رقم (٢٧٦٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول اللَّه ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾، رقم (٤٤١٨)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبَيْه، رقم (٢٧٦٩)، من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أي: أَعلَمَ بأنَّ اللَّهَ قد تَابَ علينا. عمدة القاري (٢٤/ ٢٨٣).

عَلَيْكَ» متفق عليه[(١)].

٨ - قد يجد التَّائبُ بعد تَرْك المعصيةِ حُزناً على فراقِها؛ والسُّرورُ والفرحُ عَقِبَ التَّوبة على قَدْر هذا الحُزْن، فكلَّما كان أقوى وأشدَّ؛ كانت الفرحة أقوى وأشدَّ، وما أبهى سرورَ الطَّاعةِ بعد ظُلْمةِ المعصية، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «وهاهنا دقيقة قَلَّ مَن يتفطَّن لها إلَّا فقيهٌ في هذا الشَّأن، وهي: أنَّ كلَّ تائبٍ لا بدَّ له في أوَّل توبته من عَصْرَة وضَغْطَة في قلبه من همٍّ أو غمٍّ أو ضيقٍ أو حزنٍ، ولو لم يكن إلَّا تألُّمه بفِراقِ محبوبه، فينضغط لذلك وينعصر قلبه ويضيق صدره.

فأَكثر الخلق رجعوا من التَّوبة ونُكِسوا على رؤوسهم لأجلِ هذه المِحْنة، والعَارِفُ المُوَفَّقُ يعلم أنَّ الفرحةَ والسُّرورَ واللَّذَّةَ الحاصلةَ عقيب التَّوبةِ تكون على قَدْرِ هذه العَصْرَة، فكلَّما كانت أقوى وأشدَّ، كانت الفرحة واللَّذة أكمل وأتمَّ»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كَعْب بن مالك، وقول اللَّه ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾، رقم (٤٤١٨)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كَعْب بن مالك وصاحبَيْه، رقم (٢٧٦٩).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٢٤٢).

الِاسْتِغْفَارُ

١ - أَمَرَ اللَّه عبادَه بالاستغفار، فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وكان النَّبيُّ ﷺ يُكثِرُ منه، فقال: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي**[1]**، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ**» رواه مسلم[2].

٢ - وَعَدَ اللَّهُ المُستغفرين بإنزال المطر عليهم وزيادة قوَّتهم، فقال إخباراً عن هودٍ عليه السلام أنَّه قال لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾.

بل وعدهم بزيادةِ الأموالِ والبَنِين، وأن يجعلَ لهم جنَّاتٍ فيها أنواع الثِّمار ويخلِّلَها بالأنهار الجارية بينها، فقال إخباراً عن نوح عليه السلام أنَّه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾.

٣ - الاستغفار - بإذن اللَّه - يفتح ما انغلق من مسائل العلم وغيره، قال ابن عبد الهادي رحمه الله: «ولقد سمعتُه - أي: شيخ الإسلام - في مبادئ أمره يقول: إنَّه ليقف خاطري في المسألة والشَّيء، أو الحالة التي تُشكِل عليَّ، فأستغفر اللَّه تعالى ألف مرَّة، أو أكثر، أو أقل، حتى يَنْشَرِح الصَّدْر، ويَنحَلُّ إِشْكَال ما أشكل.

---

(١) أي: يُغَطَّى عليه. شرح المصابيح (٣/ ١٣٢).

(٢) كتاب الذِّكْر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم (٢٧٠٢)، من حديث الأغرِّ المُزَنيِّ رضي الله عنه.

قال: وأكون إذ ذاك في السُّوق، أو المسجد، أو الدَّرْب، أو المدرسة، لا يمنعني ذلك من الذِّكْر والاستغفار إلى أن أَنَال مطلوبي»[١].



(١) العقود الدُّرِّية (ص٢١).

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

وَفِيهِ:

١. بِرُّ الوَالِدَيْنِ.

٢. صِلَةُ الرَّحِمِ.

٣. قَضَاءُ حَاجَاتِ النَّاسِ.

بِرُّ الوَالِدَيْنِ

١ - برُّ الوالِدَيْن من أَجَلِّ الأعمال، سُئِل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قِيلَ: **الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ**» متفق عليه[١]، واللَّهُ قَرَن حقَّهُما بحقِّه، فله سبحانه العبادةُ والإخلاص، ولهما حُسْنُ الرِّعاية والإحسان، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾.

٢ - برُّ الوالدَيْن خُلُقُ الأنبياء ودَأْبُ الصَّالحين، قال تعالى في وصف نبيِّه يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾، وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

٣ - برُّ الوالدَيْن سببٌ في تفريج الكُرُبات، وتَنَزُّل البَرَكات، وإجابة الدَّعوات، وبه يَنْشَرِحُ الصَّدر، وتَطِيبُ الحياة، قال عبدُ اللَّه بنُ وَاقِدٍ الهَرَوِيُّ رحمه الله: «لا تجد عاقّاً إلَّا وجدْتَه جبَّاراً شَقيّاً، وتلا ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾»[٢].

٤ - برُّ الوالدَيْن يكونُ بطاعتِهِما في غيرِ معصية اللَّه، وخَفْضِ

---

(١) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصَّلاة، باب فضل الصَّلاة لوقتها، رقم (٥٢٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان باللَّه تعالى أفضل الأعمال، رقم (٨٥)، من حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٢).

جناح الذُّلِّ لهما رحمةً وعطفاً، وصِدْقِ الحديثِ معهما، والإحسانِ إليهما، ودَفْعِ صُنُوفِ الأذى عنهما.

٥ - من فضل اللَّه أنَّ برَّ الوالدَيْن بعد وفاتِهما لا ينقطع؛ بل يكونُ:

أ. بالدُّعاءِ لهما بعد موتِهما، أو بالصَّدقة عنهما، قال النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» رواه مسلم[١].

ب. بصِلَة مَنْ كانا يُحبَّانِه من النَّاس في حياتِهما، قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ» رواه مسلم[٢].

وقد امتثل الصَّحابةُ رضي الله عنهم قولَ النَّبيِّ ﷺ، فحينما لَقِيَ عبدُ اللَّه بن عمر رضي الله عنهما رجلاً من الأعراب بطريقِ مكَّة، سَلَّم عليه عبد اللَّه، وحَمَله على حمارٍ كان يركبُه، وأعطاه عِمَامةً كانت على رأسِه، فقيل لعبدِ اللَّهِ بنِ عُمَر: «أَصْلَحَكَ اللَّهُ، إِنَّهُمُ الأَعْرَابُ، وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِاليَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدّاً لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ» رواه مسلم[٣].

---

(١) كتاب الوصيَّة، باب ما يَلْحَق الإنسان من الثَّواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كتاب البرِّ والصِّلة والآداب، باب صِلَة أصدقاء الأب والأمِّ ونحوهما، رقم (٢٥٥٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) كتاب البرِّ والصِّلة والآداب، باب صِلَة أصدقاء الأب والأمِّ ونحوهما، رقم (٢٥٥٢).

صِلَةُ الرَّحِمِ

١ - قَرَنَ اللَّهُ الأمرَ بالإحسانِ إلى الوالدَيْنِ والأقربين بالأمر بتوحيدِه والنَّهي عن الشِّرك؛ فقال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

٢ - أمرَ اللَّهُ مَنْ سَبَقنا مِنَ الأُمم بصلةِ الرَّحِم؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

٣ - مقابلةُ الإحسانِ بالإحسان مكافأةٌ ومجازاة، وحقيقةُ الصِّلَة: وَصْلُ مَنْ قطعك من ذوي الأرحام، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**» رواه البخاري[1].

٤ - إنْ بَدَر من ذوي الرَّحِم شيءٌ ممَّا يسوء؛ فالْزَمْ جانبَ العفوِ، وقابِلْ إساءتَهم بالإحسان، فإخوةُ يوسف عليه السلام فعلوا به ما فعلوا، فصَفَحَ عنهم، ولم يُوَبِّخْهم، بل دعا لهم ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

٥ - يَظهرُ أثرُ صِلَة الرَّحم بالبَركة في المال والعُمُر، قال

(١) كتاب الأدب، باب ليس الوَاصِلُ بالمُكَافِئِ، رقم (٥٩٩١)، من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما.

النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ أَحبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ[١]؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» متفق عليه[٢].

٦ - صِلَةُ الرَّحمِ سببٌ لدخول الجنَّة، سأل رجلٌ رسول اللَّه ﷺ، فقال: «دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْنِينِي مِنَ الجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ» متفق عليه[٣].

---

(١) أي: يُؤَخَّر له في أَجَلِهِ. شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١١٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب مَن بُسِط له في الرِّزق بصلة الرَّحِم، رقم (٥٩٨٦)، ومسلم، كتاب البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب صِلَة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب فضل صِلَة الرَّحِم، رقم (٥٩٨٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنَّة، وأنَّ مَنْ تمسَّك بما أُمِر به دخل الجنَّة، رقم (١٣)، من حديث أبي أيُّوب رضي الله عنه.

قَضَاءُ حَاجَاتِ النَّاسِ

١ - عبادةُ اللَّه ونَفعُ الخلق من أسباب نَوالِ رحمة اللَّه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مفتاح حصول الرَّحمة: الإحْسَان في عبادة الخالق، والسَّعي في نفع عبيده»(١).

٢ - خدمةُ النَّاس، والإحسانُ إليهم مِنْ منهج المرسلين؛ فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أعان امرأتين في سقي الماء، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

ونبيُّنا مُحمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نزل عليه الوَحْيُ أتى إلى خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خائفاً يَرْتَجِفُ فؤادُه، فذكَّرَتْه بأعمالِه الصَّالحَةِ مع النَّاس، فقالت له: «وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ(٢)، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ(٣)، وَتَقْرِي الضَّيْفَ(٤)، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ(٥)» متفق عليه(٦).

---

(١) حادي الأرواح (ص٦٦).

(٢) أي: تُعِينُ مَنْ لا يَقْدِرُ على العَمَل والكَسْب. فتح الباري (١/ ١٨٠).

(٣) أي: تُعْطِي النَّاس ما لا يجدونه عند غيرك. شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٢٠١).

(٤) أي: تُهَيِّئُ له طعامَه ونُزُلَهُ. مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٧٣٢).

(٥) أي: ما يَنْزِلُ بالنَّاس من الحَوَادِث. مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٧٣٢).

(٦) رواه البخاري، كتاب بَدْءُ الوَحْي، باب كيف كان بَدْءُ الوَحْي إلى رسول اللَّه، رقم (٣)، =

٣ - الإسلامُ جَمَع بين العبادة والمُعامَلة، والجمعُ بين عبادة اللَّه ونَفْعِ الخَلْقِ لا يقوم بهما إلَّا المُوَفَّق، قال ابن رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والجمعُ بين القيام بحقوق اللَّه وحقوق عباده عزيزٌ جدّاً، لا يَقْوَى عليه إلَّا الكُمَّلُ من الأنبياء والصدِّيقين»(١).

٤ - مَنْ أحسنَ إلى النَّاس، ولم يَرْجُ منهم شيئاً نال السَّعادة، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «والسَّعادةُ في مُعامَلة الخَلْق: أَنْ تُعامِلَهُم لِلَّه فترجو اللَّهَ فيهم، ولا تَرجُوهُم في اللَّه، وتخافُه فيهم، ولا تَخافُهم في اللَّه، وتُحسِن إليهم رجاء ثواب اللَّه لا لمكافأتهم، وتَكُفَّ عن ظُلْمِهم خوفاً من اللَّه لا منهم»(٢).

٥ - سار العلماء على منهج الأنبياء في الجمع بين عبادة اللَّه وخدمة النَّاس، قال الذَّهبيُّ عن ابن تيمية رَحِمَهُمَا اللَّهُ: «وله مُحبُّون من العلماء والصُّلَحاء، ومن الجُنْد والأمراء، ومن التُّجَّار والكُبَراء، وسائرُ العامَّة تُحِبُّ ابن تيمية؛ لأنَّه منتصب لنَفْعِهم ليلاً ونهاراً بلسانه وقلمه»(٣).

❊❊❊

= ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول اللَّه ﷺ، رقم (١٦٠)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٥٤).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ٥١).

(٣) العقود الدُّرِّية (ص١٣٤).

المَبْحَثُ الرَّابِعُ

وَفِيهِ:

١. حُسْنُ الخُلُقِ.

٢. الصِّدْقُ.

٣. سَلَامَةُ الصَّدْرِ.

حُسْنُ الخُلُقِ

١ - مكارمُ الأخلاق، ومحاسِنُ الآداب؛ ببَسْطِ الوجه، وبَذْلِ المعروف، وكفِّ الأذى، واللَّهُ ﷻ أثنى على النَّبيِّ ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

٢ - خيار النَّاس: مَنْ جَمع بين التَّقوى وحُسنِ الخُلُق، قال الرَّسولُ ﷺ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُم أَخْلَاقاً» متفق عليه[١].

٣ - يُدرِك المرءُ بحسن خُلُقِه درجةَ العابدين، قال الرَّسولُ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ» رواه أبو داود[٢].

٤ - حُسنُ الخُلُق عبادةٌ تُثقِلُ الميزانَ يومَ القيامة، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ» رواه الترمذي[٣].

٥ - حسنُ الخُلُق يَجْمَعُ خصالَ الخير، قال ﷺ: «البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ» رواه مسلم[٤].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب حُسْن الخُلُق والسَّخاء وما يُكرَه من البخل، رقم (٦٠٣٥)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ، رقم (٢٣٢١)، من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، رقم (٤٧٩٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أبواب البرِّ والصِّلَة عن رسول اللَّه ﷺ، باب ما جاء في حُسْن الخُلُق، رقم (٢٠٠٢)، من حديث أبي الدَّرداء رضي الله عنه.

(٤) كتاب البرِّ والصِّلَة والآداب، باب تفسير البرِّ والإثم، رقم (٢٥٥٣)، من حديث النَّوَّاس بن سمعان رضي الله عنه.

الصِّدْقُ

١ - أمر اللَّه ﷻ بالصِّدق، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وهو أصلُ الإيمان، قال ابن القيِّم رحمه الله: «والإيمانُ أساسُه الصِّدقُ، والنِّفاقُ أساسُه الكذبُ»(١).

٢ - الصِّدق يَجْمَع أبواب الخير، قال النَّبيُّ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقاً، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّاباً**» متفق عليه(٢).

قال ابن القيِّم رحمه الله: «فالصِّدْقُ بريدُ الإيمانِ ودليلُه ومَرْكَبُه وسائقُه وقائدُه وحِليَتُه ولباسُه؛ بل هو لُبُّه(٣) ورُوحُه»(٤).

٣ - سَلَك أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه هذا الخُلُق الرَّفيع، فأجمعت

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب قول اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وما ينهى عن الكذب، رقم (٦٠٩٤)، ومسلم، كتاب البرِّ والصِّلَة والآداب، باب قبح الكَذِب وحسن الصِّدق وفضلِه، رقم (٢٦٠٧)، من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أي: خالصه. الصحاح (١/ ٢١٦).

(٤) زاد المعاد (٣/ ٥١٧).

الأمَّةُ على تَلْقِيبِه بالصِّدِّيق، قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَجْمَعتِ الأئمَّةُ على تَسْمِيتِه صِدِّيقاً»(١).

٤ - عبادةُ الصِّدق مِن أشقِّ العبادات في هذا العصر، وإذا أَرَدْتَ أن تَعْرِف مشقَّتَها وإخفاقَ كثيرٍ من الناس فيها، فالْحَظْ ذلك في أسبوعٍ واحدٍ، كم تَسمع فيه من كَذْبة؟!

٥ - يَقبُحُ بطالبِ العلم أن تُكتَبَ عليه كَذبة، قال ابن حزمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا شيء أقبحُ من الكذب، والكذبُ مُتولِّدٌ من الجَوْرِ والجُبْنِ والجهل؛ لأنَّ الجُبْنَ يُوَلِّد مهانة النَّفس، والكذَّاب مَهينُ النَّفس، بعيدٌ عن عِزَّتها المحمودة»(٢).

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٨١).

(٢) الأخلاق والسير في مُداواة النُّفوس (ص٦١).

سَلامَةُ الصَّدْرِ

١ - امتدح اللَّه خليله إبراهيم عليه السلام بسلامةِ القلب، فقال: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، قال الإمام ابن القيِّم رحمه الله: «ولا تتمُّ له سلامته مطلقاً حتى يَسْلَم من خمسة أشياء: من شِرْكٍ يُناقِض التَّوحيد، وبدعةٍ تُخالِف السُّنَّة، وشهوةٍ تُخالِف الأمر، وغفلةٍ تُناقِض الذِّكْر، وهوىً يُناقِض التَّجريد والإخلاص، وهذه الخمسةُ حُجُب عن اللَّه»[١].

٢ - الأعمالُ الصَّالحةُ نابعةٌ من صلاح القلب، والمُسلمُ يَسْعَى لسلامةِ قلبِه، وسلامةُ القلب في تطهيرِه ممَّا يَعْلَقُ به من المعاصي، قال أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: «أَتَى جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ[٢] فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ القَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً[٣]، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ[٤]، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ[٥] مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ[٦]، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ» رواه مسلم[٧].

٣ - تحلَّى الصَّحابةُ رضي الله عنهم بهذه الخَصْلَة العظيمة، فأثنى اللَّه على

---

(١) الجواب الكافي (ص٢٨٣).
(٢) أي: فطرحه وألقاه على قفاه. مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٧٤٣).
(٣) أي: قطعة دم جامد. فتح الباري (١١/ ٤٨١).
(٤) أي: نصيبه لو دام معك. مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٧٤٣).
(٥) أي: إناء. شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٢١٦).
(٦) أي: أصلح موضع شَقِّه. مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٧٤٣).
(٧) كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول اللَّه ﷺ إلى السَّموات وفرض الصَّلوات، رقم (١٦٢).

الأنصار بقوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

٤ - سار العُلَماءُ على هذا النَّهج القَوِيم، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان بعضُ أصحابِه الأكابر يقول: وَدِدْتُ أنِّي لأصحابي مِثْلُه لأعدائه وخصومه[١]، وما رأيتُه يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم، وجِئتُ يوماً مُبَشِّراً له بموتِ أكبر أعدائه، وأشدِّهم عداوة وأذىً له، فنَهَرَني وتَنَكَّر لي[٢]، واسْتَرجَع[٣]، ثمَّ قام من فَوْرِه إلى بيتِ أهلِه فعزَّاهُم، وقال: إنِّي لكم مكانَه، ولا يكونُ لكم أَمرٌ تحتاجونَ فيه إلى مساعدة إلَّا وساعدْتُكم فيه، ونحو هذا من الكلام، فسُرُّوا به ودَعَوْا له، وعظَّموا هذه الحال منه»[٤].

٥ - في سلامة القلب: تحقيقُ الإيمان بالقَضَاء والقَدَر، وانشراحُ الصَّدر، وراحةُ البال، وطمأنينةُ النَّفْس، وحُسنُ ظنٍّ بالآخرين، وسعادة في الحياة.

٦ - ثوابُ سلامةِ الصَّدرِ جنَّات النَّعيم، قال أنسُ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا جُلُوساً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: **يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَبَاتَ عِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ

---

(١) أي: لَيْتَنِي أُعامِلُ أصحابي كما يُعامِل ابن تيميةَ أعداءَه بالأخلاق الحسنة.

(٢) التَّنكُّر: التّغَيُّر عَن حالٍ تَسُرُّكَ إِلَى حالٍ تكْرَهُها. تهذيب اللغة (١٠/ ١٠٩).

(٣) أي: قال: إنَّا للَّه وإنَّا إليه رَاجعُون.

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٣٢٨).

العَاصِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئاً، فَسَأَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: مَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ غِشّاً، وَلَا أَحْسُدُ أَحَداً عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ» رواه أحمد[١].



(١) في المسند، رقم (١٢٦٩٧).

المَبْحَثُ الخَامِسُ

وَفِيهِ:

١. الحِرْصُ عَلَى الوَقْتِ.

٢. الصَّبْرُ فِي طَلَبِ العِلْمِ.

٣. الصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ.

الحِرْصُ عَلَى الوَقْتِ

١ - أقسم اللَّهُ بالفجر والضُّحى والعصر والنَّهار واللَّيل؛ تذكيراً بأهمِّيَّةِ الزَّمَن، فمنزلتُك في الآخرة هو بما تَعْمَلُه في هذه الدُّنيا.

٢ - احْفظْ وقتَك، واغْتَنِمْهُ بما ينفع، قال النَّبيُّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ**» رواه مسلم[(١)].

٣ - من أسباب نُبوغِ مَنْ نَبَغ من العُلَماء: محافظتُهم على أعمارِهم بحِفْظِ زمانهم، وصحبةٌ صالحةٌ أعانتُهم على طاعة ربِّهم.

٤ - كما أنَّ حفظَ الوقت سببٌ في تحصيلِ العِلم؛ فاختيارُ المكان الخالي من شواغل الذِّهن سببٌ في اغتنام الوقت وأَدْعَى لكمال الحفظ والفهم، قال ابن الجَوْزيِّ رحمه الله: «ولا يُحمَد الحِفْظُ بحَضْرَة خُضْرَة[(٢)]، وعلى شاطئ نهر؛ لأنَّ ذلك يُلهِي»[(٣)].

٥ - مَن حَفِظَ وقته، ورَزَقَه اللَّهُ الإخلاص؛ بُورِكَ له في عملِه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وقد شاهدْتُ من قوَّة شيخ الإسلام ابن تيمية في

---

(١) كتاب القَدَر، باب فِي الأمر بالقوَّة، وترك العجز، والاستعانة باللَّه وتفويض المقادير للَّه، رقم (٢٦٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أي: بساتين.

(٣) صيد الخاطر (ص١٩٢).

سُنَنِه وكلامه وإقدامه وكتابه أمراً عجيباً، فكان يكتب في اليوم من التَّصنيف ما يكتبه النَّاسخ في جُمعة[١] وأكثر»[٢].

(١) أي: في أسبوع.

(٢) الوابل الصيب (ص٧٧).

الصَّبْرُ فِي طَلَبِ العِلْمِ

طالبُ العلم يَبْذُل وُسْعَه في طَلَب العلم، كما بَذَل العُلَمَاء الأوائل جهدَهم في تحصيلِه وتَبْليغِه لنا، وممَّا يُذكَرُ عن بعضِهم ممَّا لَاقوه من مشاقَّ في سبيل طلب العِلْم ما يأتي:

١ - أبو حاتم الرَّازيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَشَى على قَدَمَيْه في طَلَب العلم كثيراً، وأحصى ما مشاه فبلغ أكثر من (٨٢٨٠ كيلو متراً).

ثمَّ بعد ذلك توقَّف عن إحصاء ما يَمْشِيه، وأصبح يَذكُر المُدُن التي مَشَى إليها لطَلَبِ العِلْم، ومسافة ما مشاه بين المدن التي ذكرها: (٥٥٨٥ كيلو متراً).

ومجموع ما أحصاه من المسافة، مع المسافة بين المدن الَّتي ذكرها: (١٣٨٦٥ كيلو متراً).

ووصف رَحِمَهُ اللَّهُ رحلتَه هذه قائلاً: «أوَّلُ سَنةٍ خرجتُ في طَلَب الحَدِيث أَقمتُ سبعَ سنين، أحصيتُ ما مَشيتُ على قَدمَيَّ زِيَادَةً على ألفِ فَرسَخٍ[1]، ثمَّ تركتُ العدَّ بعد ذَلِك.

وَخرجتُ من البَحْرين[2] إِلَى مِصْر ماشياً.

(١) الفرسخ: يساوي (٨,٢٨ كيلو متراً). كتابنا: تحقيق الأطوال الشرعية وتحديدها بالأطوال المعاصرة.

(٢) هي الأحساء حالياً، شرق المملكة العربية السعودية.

ثمَّ إلى الرَّمْلة[١] ماشياً.

ثمَّ إلى دمشق، ثمَّ إِلَى أَنْطَاكِيَّة[٢]، ثمَّ إلى طَرْسُوس[٣].

ثمَّ رجعتُ إلى حِمْص، ثمَّ مِنْهَا إلى الرَّقَّة[٤].

ثمَّ ركبتُ إلى العِرَاق.

كلُّ هَذَا وَأَنا ابن عشرين سنة»[٥].

٢ - قال الإمام البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «خرجتُ إلى آدم بن أبي إيَاس، فتخلَّفَتْ - أي: تأَخَّرَتْ - عنِّي نفقتي، حتى جعلتُ أتناولُ الحَشِيش[٦]، ولا أُخبِر بذلك أحداً، فلَمَّا كان اليوم الثَّالث أتاني آتٍ لم أَعْرفهُ، فناولني صُرَّة دنانير[٧]، وقال: أَنْفِقْ على نَفسِك»[٨].

٣ - قال أبو حاتم الرَّازيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «في سنة أربع عشرة - أي: ومئتين - بقيتُ ثمانيةً أشهر بالبصرة، وكان في نفسي أُقيم سنة، فانْقَطَعتْ نفقتي، فجعلتُ أبيع ثيابي حتى نَفِدَت، وبقيتُ بلا نفقة»[٩].

---

(١) في فلسطين.

(٢) في تركيا.

(٣) في تركيا.

(٤) في سوريا.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٠٨).

(٦) الحَشِيشُ: ما يبس من العُشْب. الصحاح (١/ ٦٩، ٣ / ١٠٠١).

(٧) أي: خِرقَة فيها دنانير. المصباح المنير (١/ ٣٣٨).

(٨) طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٢٧).

(٩) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٥٦).

٤ - قال زكريَّا الأنصاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «جئتُ من البلاد وأنا شابٌّ، فلم أعكف على الاشتغال بشيءٍ من أمور الدُّنيا، ولم أُعلِّق قلبي بأحدٍ من الخَلْق، وكنتُ أجوعُ في الجَامِعِ كثيراً، فأخرجُ في اللَّيلِ إلى المِيضَأة[١] وغيرها، فأغسلُ ما أَجِدُه من قُشَيْرَاتِ البطِّيخ حوالي المِيضَأة وآكلُها، وأقنع[٢] بها عن الخُبْز، فأقمتُ على ذلك الحال سنين»[٣].

٥ - رَهَن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ نَعْلَه عند خبَّازٍ على طعامٍ أَخَذَه منه عند خروجه من اليمن، وأَكْرَى نفسَه[٤] من ناس من الجَمَّالين[٥] عند خروجه[٦].

٦ - في ترجمة الإمام البُخاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قال عمر بن حفص الأشقر: «كنَّا مع مُحمَّدِ بنِ إسماعيل البُخاريِّ بالبصرة نكتبُ الحديث، ففقدناه أيَّاماً، فطلبناه، فوجدناه في بيت وهو عُرْيَان، وقد نَفِد ما عنده، ولم يَبْقَ معه شيء، فاجتمعنا وجمعنا له الدَّراهم حتى اشترينا له ثوباً وكَسَوْنَاه، ثمَّ اندفع معنا في كتابة الحديث»[٧].

٧ - قال الحافظ ابن كثيرٍ عن الإمام أحمد رَحِمَهُمَا اللَّهُ: «وسُرِقَت ثيابه

---

(١) أي: المَوْضِع الذي يُتَوَضَّأ فيه. تاج العروس (١/ ٤٩٠).
(٢) أي: أكتفي.
(٣) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (١/ ١٩٨).
(٤) أي: آجَرَ نفسَه بالعمل. مقاييس اللغة (٥/ ١٣٧).
(٥) أي: أصحاب الجِمال - الإبل -. تاج العروس (٢٨/ ٢٣٣).
(٦) مناقب الإمام أحمد لابن الجَوْزِي (ص٣١٠).
(٧) تاريخ بغداد (٢/ ٣٢٢).

وهو باليمن، فجلس في بيته، ورَدَّ عليه الباب[١]، وفَقَدهُ أصحابه، فجاؤوا إليه فسألوه، فأخبرهم، فعرضوا عليه ذهباً فلم يَقْبَلْه، ولَمْ يأخذ منهم إلَّا ديناراً واحداً ليَكتُب لهم به[٢]، فكتب لهم بالأجر»[٣].

بمثلِ هذه المَشقَّةِ الشَّديدة، ومع الإخلاصِ للَّه بَقِيَ علمُ السَّلَف ناصعاً مُثْمِراً كأنَّما دَوَّنُوه اليوم.

---

(١) أي: أَغْلَقه.

(٢) أي: أخذ الدِّينار أجرةً لِمَا يَنْسَخُه لهم من الكتب.

(٣) البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٩).

الصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ

١ - من أسباب الثَّبات على الإيمان: الصُّحبةُ الصَّالحةُ، وهي في زمن الفتن أَلْزَم؛ لا سيَّما الصُّحبة الجادَّة في طَلَب العلم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**» رواه أحمد[(١)].

٢ - لا غِنَى لأحدٍ عن صحبةٍ صالحة، فاللَّهُ أخبر بأنَّ للنَّبيِّ ﷺ صاحباً، فقال: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

٣ - الجليسُ الصَّالحُ يَنفَعُك في جميعِ أحوالِك؛ لذا شبَّهه النَّبيُّ ﷺ بحامل المِسْك الَّذي تنتفع برائحة المِسْك الَّذي معه، أو تشتري منه المِسْك، فقال: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسُّوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ**[(٢)].

فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ[(٣)]**، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ**[(٤)] **مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً.**

---

(١) في المسند، رقم (٨٤١٧).

(٢) الكِيرُ: جلدٌ غليظٌ يَنْفُخُ به الحدَّاد. الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٢٧٧)، المصباح المنير (٢/ ٥٤٥).

(٣) أي: يُعطيَك. شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ٤٤٦).

(٤) أي: تشتري. المفاتيح شرح المصابيح (٥/ ٢٣١).

وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً» متفق عليه[١].

٤ - مِن منافعِ الصُّحبةِ الصَّالحةِ: أنَّ مَنْ جلسَ معهم لا يَشْقَى، فمَنْ جلس في حلقة ذِكْر فيهم صالحون وهو مُذنِب؛ غُفِر له ذنبه، قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبارَكَ وَتَعالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً[٢] فُضُلاً[٣]، يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ.

فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِساً فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً[٤] بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا، وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ.

قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ ﷻ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ -: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ.

قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ.

---

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، رقم (٢١٠١)، ومسلم، كتاب البِرِّ والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصَّالحين ومجانبة قُرَناء السُّوء، رقم (٢٦٢٨)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أي: يطوفون في الطُّرق. وهذا التَّفسير من قول النَّبيِّ ﷺ، وقد رواه البخاري، كتاب الدَّعوات، باب فضل ذكر اللَّه ﷻ، رقم (٦٤٠٨).

(٣) أي: ملائكة زائدين على الحَفَظَة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق، فهؤلاء السَّيَّارة لا وظيفة لهم، وإنَّما مَقصودُهم حِلَق الذِّكْر. شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٤).

(٤) أي: أحاطُوا بهم. القاموس المحيط (١/ ١٠٨).

قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا؛ أَيْ رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟!

قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟

قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟!

قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ.

قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا.

قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ.

قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ القَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» رواه مسلم[1].

٥ - إنْ بَدَر مِنْ صاحبِك الصَّالح نُفورٌ في أخلاقِه فاصبِر عليه؛ فمصلحةُ صُحبتِه مُقدَّمةٌ على بعض عُيوبِه، قال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾، قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: اجْلسْ مع الَّذين يَذكُرون اللَّه، ويُهَلِّلونه، ويَحْمَدُونه، ويُسَبِّحونَه، ويُكَبِّرونه، ويَسألُونه بكرةً وعشيّاً من

(١) كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذِّكر، رقم (٢٦٨٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عباد اللَّه، سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء»[(١)].

٦ - كلُّ صَداقةٍ في الدُّنيا تنقلبُ عداوة يوم القيامة إلَّا صداقة المُتَّقين، فنَفْعُها يَمتدُّ في الآخرة، قال سبحانه: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٧ - في أرض المَحْشَر - والشَّمسُ قدر مِيلٍ من الخَلْق - وَعَد اللَّه المُتحابِّين في ذات اللَّه بأن يُظِلَّهم في ظلِّه، قال النَّبيُّ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:

الإِمَامُ العَادِلُ.

وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ.

وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ.

وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ.

وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ.

وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ.

وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» متفق عليه[(٢)].

❊❊❊

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٥٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب الزَّكاة، باب الصَّدقة باليمين، رقم (٦٦٠)، ومسلم، كتاب الزَّكاة، باب فَضْل إخفاء الصَّدقة، رقم (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المَبْحَثُ السَّادِسُ

وَفِيهِ:

١. حُضُورُ دُرُوسِ العُلَمَاءِ.

٢. الإِكْثَارُ مِنَ الشُّيُوخِ.

٣. احْتِرَامُ العُلَمَاءِ.

٤. احْتِرَامُ الأَقْرَانِ.

حُضُورُ دُرُوسِ العُلَمَاءِ

١ - المرءُ بحاجةٍ إلى القُرْبِ من العلماء؛ للانتفاع بعِلْمِهم، وسؤالهم عمَّا يُشْكِل من المسائل، قال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «العلماءُ باللَّه وأَمْرِه هم حياةُ الوجود ورُوحُه، ولا يُستغنَى عنهم طَرْفَة عين»[١].

٢ - مَنْ قَرُبَ من العلماء انْتَفَع بعلمِهم وسَمْتِهم وصلاحِهم وتواضعِهم، فقد مَنَّ اللَّه عليهم بفضائل كثيرة، قال الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «العلماءُ في كلِّ حالٍ لهم فضلٌ عظيمٌ:

في خُروجِهم لطلبِ العِلْم.

وفي مُجالسَتِهم لهم فيه فضلٌ.

وفي مذاكرةِ بعضِهم لبعضٍ لهم فيه فضلٌ.

وفيمَنْ تعلَّموا منه العلم لهم فيه فضلٌ.

وفيمَنْ عَلَّموه العلم لهم فيه فضلٌ.

فقد جمع اللَّه للعُلَماء الخيرَ من جهاتٍ كثيرة، نَفَعَنا اللَّه وإيَّاهُم بالعِلْم»[٢].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١١١).

(٢) أخلاق العلماء للآجري (ص٤٠).

٣ - مَنْ دنا من العُلَماء لم يَخْلُ من دعوةٍ صالحةٍ منهم، قال ابن حجر عن شيخِه برهان الدِّين ابن جماعة رحمهما الله: «لَازَمْتُه زيادة على ثلاث سنين، ووصلتُ عليه بالإجازة شيئاً كثيراً، وانتفعتُ ببركتِه(١) ودعائِه لي كثيراً»(٢).

٤ - مجالسُ العلماء من خير المجالس، قال سهل بن عبد اللَّه التُّستَرِي رحمه الله: «مَنْ أراد النَّظرَ إلى مجالسِ الأنبياء؛ فلْيَنْظُرْ إلى مجالسِ العُلَماء»(٣).

٥ - في مجالستِهم فوائد عديدة، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وقيل: مُجالَسةُ العَارفِ تَدعوكَ من ستٍّ إلى ستٍّ: من الشَّكِّ إلى اليقين، ومن الرِّياء إلى الإخلاص، ومن الغفلة إلى الذِّكْر، ومن الرَّغبة في الدُّنيا إلى الرَّغبة في الآخرة، ومن الكِبْر إلى التَّواضع، ومن سوءِ الطَّوِيَّة(٤) إلى النَّصيحة»(٥).

٦ - كان طلَّابُ العِلْم يحرصون على حضورِ دروس العلماء، ويكثرون منها، قال ابن العطَّار عن النَّوويِّ رحمهما الله: «وذكر لي الشَّيخ - يعني: النَّوويّ - قدَّس اللَّه روحَه قال: كنتُ أقرأُ كلَّ يومٍ اثني عشر درساً على المشايخِ؛ شرحاً وتصحيحاً:

---

(١) أي: ببركة علمه.
(٢) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس (١/ ٨٣).
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (ص٩).
(٤) الطَّويَّة: النِّيَّة. تاج العروس (٣٨/ ٥١٣).
(٥) مدارج السالكين (٣/ ٣٢٢).

درسين في «الوسيط»[١]، ودرساً في «المُهذَّب»[٢].

ودرساً في «الجمع بين الصَّحيحَيْن»، ودرساً في «صحيحِ مسلمٍ».

ودرساً في «اللُّمَع» لابن جِنِّي في النَّحو.

ودرساً في «إصلاح المَنْطِق» لابن السِّكِّيت في اللُّغة، ودرساً في التَّصريف.

ودرساً في أصول الفقه؛ تارة في «اللُّمَع» لأبي إسحاق، وتارة في «المُنْتَخب» لفخر الدِّين الرَّازيِّ.

ودرساً في أسماء الرِّجال، ودرساً في أصول الدِّين.

وكنتُ أُعلِّق جميع ما يتعلَّق بها؛ من شرح مُشْكِل، ووضوح عبارة، وضبط لغة»[٣].

٧ - كان طلَّابُ العِلْم يُلازِمُون العُلَماء، ويَصحَبُونَهم السَّنَوات الطِّوال، قال ابن حجر ﷺ: «لَازَمْتُ شيخنا - أي: الحافظ العراقيّ - عشر سنين، تخلَّل في أثنائِها رحلاتي إلى الشَّام وغيرِها، قرأت عليه كثيراً من المسانيد والأجزاء، وبحثت عليه (شرحه على منظومته)[٤]، وغير ذلك»[٥].

---

(١) لأبي حامد الغزالي في الفقه الشافعي.

(٢) لأبي إسحاق الشيرازي في الفقه الشافعي.

(٣) تحفة الطالبين (ص٤٩).

(٤) المُسمَّى: «شرح التبصرة والتذكرة».

(٥) إنباء الغُمر بأبناء العمر (٢/ ٢٧٧).

٨ - كان السَّلفُ يسعون للانتفاع من العُلَماء بكلِّ سبيل، ويصبرون على ذلك، قال الذَّهبيُّ رحمه الله: «قرأتُ على محمود بن مُحمَّدِ بن محمود بن عبد المنعم ابن المَرَاتِبيِّ الصَّالحيِّ الخَرَائِطيِّ - الأَصمِّ[1] -، بأقوى صوتي في أذنِه ثلاثة أحاديث»[2].

٩ - إذا تعذَّر حضور دروس العُلَماء؛ فاسْتَمِع إلى دروسهم المنقولة عبر البث المباشر، أو المُسَجَّلة.

(١) الأصمّ: ثقيل السَّمع. تاج العروس (٣٢/ ٥١٣).

(٢) معجم الشيوخ الكبير (٢/ ٣٣٥).

الإِكْثَارُ مِنَ الشُّيُوخِ

اختارَ اللَّهُ العلماء لتعليمِ النَّاس الدِّين، ووَهَبَهُم عِلماً وفهماً، وفَاضَلَ بينهم في ذلك، والمُتعلِّم ينهل من مَعِينِ جميع العلماء، ولأهمِّيَّة ذلك حرص السَّلف على الإكثار من العلماء للانتفاع بعلمهم وسَمْتِهم وعبادتِهم؛ ومن ذلك:

١ - قال الإمام البُخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٢٥٦هـ): «كتبتُ عن ألفِ شيخٍ وأكثر»[١].

٢ - مُحَمَّد بْن إسحاق ابْن مَنْده رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٣٩٥هـ): كَتَب عن ألفٍ وسبعِ مئة شيخٍ[٢].

٣ - إسماعيل بن حامد المَرْجِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٦٥٣هـ): شيوخُه يقاربون ألفَ شيخٍ[٣].

٤ - عبد المُؤمن بن خلف الدّمياطي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧٠٥هـ): بلغ عدد مشايخِه (١٢٥٠) شيخاً[٤].

٥ - عثمانُ بنُ محمد التَّوْزَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧١٣هـ): شيوخُه نحو من ألفِ شيخٍ[٥].

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٢٧٥).
(٢) طبقات الحنابلة (٢/ ١٦٧).
(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب (٤/ ١٦٣١).
(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٣/ ٢٢٢).
(٥) معجم الشيوخ الكبير للذهبي (١/ ٤٣٧).

٦ - عبد اللَّه بن المُحبِّ المَقدِسيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧٣٧هـ): مشيختُه نحو ألف شيخٍ(١).

٧ - أَخذَ القاسمُ بنُ مُحمَّد البَرزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧٣٩هـ) عن أزيد من ألفي شيخٍ(٢).

٨ - الحافظ المِزِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٧٤٢هـ): مشيختُه نحو ألف شيخٍ(٣).

٩ - شيوخُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧٤٨هـ) ألفا شيخٍ(٤).

١٠ - الحسن بن علي بن مُحمَّد البَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧٥١هـ): شيوخُه ألف شيخٍ(٥).

١١ - مُحمَّد بن رافع السّلَامِيّ (ت ٧٧٤هـ): شيوخُه أزيد من ألفِ شيخٍ(٦).

١٢ - عبد العزيز بن عمر بن فهد القُرشيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٩٢٠هـ): شيوخُه نحو ألف شيخٍ(٧).

---

(١) الرد الوافر (ص١٠١)
(٢) المعجم المختص بالمحدثين (ص٧٧).
(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٦/ ٢٢٨).
(٤) غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٧١).
(٥) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٢/ ١٣٣).
(٦) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ١٨٠).
(٧) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (١/ ٢٣٩).

احْتِرَامُ العُلَمَاءِ

١ - توقيرُ العُلَماء من إجلال اللَّه؛ فَهُم ورثة الأنبياء وحَمَلة الدِّين، ومِنْ مُعتقدِ أهل السُّنَّة والجماعة: الثَّناء عليهم وإجلالهم، قال الطَّحَاوِيُّ ﵀: «علماءُ السَّلَف من السَّابقين والتَّابعين ومَنْ بعدَهم - من أهل الخَبَر والأَثَر، وأهل الفِقْه والنَّظَر - لا يُذكَرُون إلَّا بالجَمِيل»[١].

٢ - سار تلاميذ العُلَماء على هذا الوصف الرَّفيع من احترام العُلَماء، قال الرَّبيع بن سليمان ﵀: «واللَّهِ ما اجْتَرأتُ أن أشربَ الماءَ والشَّافعيّ يَنظرُ إلي؛ هيبةً له»[٢].

٣ - كان لشيخ الإسلام ﵀ أخٌ يُجِلُّه ويُعَظِّمه، قال البزَّار ﵀: «وما رأيتُ أحداً كان أشدَّ تعظيماً للشَّيخِ من أخيه هذا - أعني: القائم بأموره -، وكان يَجلِس بحضرتِه كأنَّ على رأسِه الطَّير، وكان يَهابُه كما يَهابُ سلطاناً، وكنَّا نعجبُ منه في ذلك، ونقول: من العُرْف والعادة أنَّ أهل الرُّجلِ لا يحتشمونه كالأجانب، بل يكون انبساطُهم معه فضلاً عن الأجنبي، ونحن نراك مع الشَّيخ كتِلميذٍ مُبالِغ في احتشامه واحترامه، فيقول: إنِّي أرى منه أشياء لا يراها غيري أوجبت عليَّ أن أكون معه كما تَرَوْن»[٣].

---

(١) العقيدة الطحاوية، ضمن متون طالب العلم (ص١٦٦).
(٢) تاريخ دمشق (٥١/ ٤٠٤).
(٣) الأعلام العَلِيَّة (ص٥٤).

٤ - يجب على المسلم أن يَحذَر من الوقيعة في أعراض العلماء، قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لُحُومُ العلماء رحمة اللَّه عليهم مَسمُومَة، وعادةُ اللَّه في هَتْكِ أَسْتَار مُنْتَقِصِيهم معلومة؛ لأنَّ الوقيعة فيهم بما هم منه بَراء؛ أمرُه عظيم، والتَّناول لأعراضهم بالزُّور والافتراء مَرْتَعٌ وَخِيمٌ[١]، والاختلاقُ على مَنِ اخْتَارَهُ اللَّه منهم لِنَعْشِ العلم[٢] خُلُقٌ ذميمٌ، والاقتداءُ بما مَدَح اللَّه به قول المُتَّبِعِين من الاستغفار لمَن سَبَقَهم؛ وصفٌ كريمٌ»[٣].

٥ - العُلَماءُ الرَّبَّانيُّون أولياء اللَّه، قال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعن الإمامَيْن الجليلَيْن أبي حنيفة والشَّافعيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالا: (إن لم يكن العلماء أولياء اللَّه فليس للَّه وَلِيّ)»[٤]، وتوعَّد اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَنْ آذى أولياءَه، قال النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث القُدسيِّ: «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً؛ فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**» رواه البخاري[٥].

٦ - مَنْ أكثرَ مِنَ الوَقِيعَة في العُلَماء فقد وقع في ذنبٍ عظيم، قال الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَنْ ذَكَرَهم بسوءٍ؛ فهو على غير السَّبيل»[٦]، وقال

---

(١) المَرْتَع الوخيم: المَرْعَى الذي لا يُوافِق بَدَنَ الدَّابَّة ويكون ثقيلاً عليها وإن كانت تُحبُّه. الصحاح (٣/ ١٢١٦، ٥/ ١٨٣٩).

(٢) أي: لبقائه وارتفاعه. تهذيب اللغة (١/ ٢٧٧).

(٣) تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري (ص٢٩).

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن (ص٢٩).

(٥) كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٦) العقيدة الطحاوية، ضمن متون طالب العلم (ص١٦٦).

الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم ﵀: «المُستهزئُ بأهل الخيرِ والطَّاعةِ والعِلْم: بعضُ أهل العِلْم ذَكَر أنَّه يكون رِدَّة إذا كان هذا دَيْدَنَه»[١].

٧ - مَنْ آذى العلماء بلسانه ابتلاه اللَّه بسوء الخاتمة، قال ابن عساكر ﵀: «كلُّ مَنْ أطلق لسانَه في العُلَماء بالثَّلْب[٢]؛ بَلَاه اللَّه ﷻ قبل موتِه بموتِ القلب»[٣].

٨ - مَنْ كان عنده محبَّة للحديث في أعراض النَّاس فلْيَصرِفها في ذِكْر اللَّه ﷻ، قال ابن عون ﵀: «ذِكْرُ اللَّه دواء، وَذِكْرُ النَّاس داء»[٤].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ﵀ (١٢/ ١٩٥).
(٢) الثَّلْب: التَّصريحُ بِعَيبهم وَتَنَقُّصهم. الصحاح (١/ ٩٤).
(٣) تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري (ص٤٢٥).
(٤) تاريخ الإسلام (٤/ ١٠١).

احْتِرَامُ الأَقْرَانِ

١ - أعطى اللَّهُ مَنْ شاء مِنْ خَلْقِهِ قدرات ومواهب - كالحفظ، والفهم، والتَّصنيف -، ورضا العبد بما قَسَمَه اللَّه: من تحقيق ركن الإيمان بالقَدَر، وأحقُّ النَّاسِ بذلك هم أهل العلم.

٢ - كان السَّلَفُ يُعَظِّمُ أحدُهم قرينَه ويُبَجِّلُه، مع سلامة قلبه له، والثَّناء عليه في غَيْبَته، فابن كثير وابن القيِّم رحمهما الله كلاهما قرينان في العلم، وهما من تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وكلاهما يُحِبُّ الآخر.

قال ابن كثير عن ابن القيِّم رحمهما الله: «لما عاد الشَّيخُ تقيُّ الدِّين ابنُ تيمية من الدِّيارِ المِصريَّةِ في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة لَازَمَه - أي: ابن القيِّم - إلى أَنْ مات الشَّيخُ، فأخذ عنه علماً جَمّاً، فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطَّلَب ليلاً ونهاراً، وكثرة الصَّلاة والابتهال، وكان حَسَن القراءة والخُلُق، كثير التَّوَدُّد، لا يَحْسُد أحداً، ولا يُؤْذِيه، ولا يَسْتَعِيبُه[1]، ولا يَحْقِد على أحد، وكنتُ مِنْ أصحبِ النَّاس له، وأحبِّ النَّاس إليه»[2].

قال الذَّهبيُّ عن عبد اللَّه بن محمد المقدسي رحمهما الله - وهما

(١) أي: لا يتتَبَّعُ عيوبه.
(٢) البداية والنهاية (١٨/ ٥٣٢).

أقران -: «هو ممَّن أحبُّه في اللَّه»[١].

٣- الانتفاع بالأقران من رجحان العقل، وهو من أسباب النُّبوغ، قال شمسُ الدِّين السَّخاوي ﷺ: «المرءُ لا يَنْبُلُ حتى يأخذ عمَّن فوقَه، ومثلَه، ودونَه»[٢].



(١) المعجم المختص بالمحدثين (ص١٢٨).
(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٨/ ١٣).

المَبْحَثُ السَّابِعُ

وَفِيهِ:

١. العَمَلُ بِالعِلْمِ.

٢. القُدْوَةُ الحَسَنَةُ.

العَمَلُ بِالعِلْمِ

١ - العَمَلُ ثمرةُ العِلْم، والعلومُ ما وُضِعَتْ إلَّا لِتَهدِي إلى العمل الصَّالح، وليس العِلْم أن تَعْرِف المجهول فقط؛ ولكن أن تستفيد من معرفته.

٢ - العملُ بالعِلْم يزيدُ في العِلْم، وعلى هذا الأصل العظيم دَرَج العُلَماءُ الرَّبَّانيُّون، قال بعضُ السَّلَف: «كنَّا نستعينُ على حِفْظِ الحديث بالعَمَل به»[(١)].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ عملَ بِما علِم؛ أَورَثهُ اللَّهُ عِلمَ ما لم يعلم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾»[(٢)].

٣ - ذمَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بني إسرائيل على عدم انتفاعهم بالعلم، قال سبحانه عنهم: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾، وذَمَّ النَّصارى ووصَفَهُم بالضَّلالة؛ لجهلهم وعبادتهم ربَّهم بغير علم، قال سبحانه: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

٤ - مَنْ لم يَعْمَل بما عَلِم حُرِم لذَّةَ العلم والخشية، ويُوشِكُ أن

---

(١) اقتضاء العلم العمل (ص٩٠).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ١٠).

يَسْلُبَه اللَّهُ ما عَلِم، فيكون في عِدَاد الجاهلين، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ أعرض عن اتِّباعِ الحقِّ الَّذي يعلمه تبعاً لهواه، فإنَّ ذلك يورثُه الجهل والضَّلال، حتى يعمى قلبه عن الحقِّ الواضح، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾»[١].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ١٠).

القُدْوَةُ الحَسَنَةُ

١ - كُنْ قدوةً صالحةً في المجتمع، فالصَّحابةُ ﵃ تأثَّروا بما رَأَوْه من النَّبيِّ ﷺ، قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

٢ - أمرَ اللَّهُ نَبيَّه ﷺ أن يقتديَ بمَنْ سَبَق من الأنبياء بالصَّبر وغير ذلك، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾.

٣ - القدوةُ الحسنةُ في الأفعال تؤثِّر في الآخرين كتأثير النَّصيحة بالقول أو أشد، والصَّحابةُ ﵃ كانوا يقتدون بالنَّبيِّ ﷺ لِمَا يرون فيه من قدوةٍ حسنةٍ لهم، فعن كُرَيْب مولى ابن عبَّاس أنَّ عبدَ اللَّه بن عباسٍ ﵄ أخبره أنه «بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ - وَهِيَ خَالَتُهُ - فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا.

فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ العَشْرَ الآيَاتِ الخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ.

ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ[١] مُعَلَّقَةٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي.

---

(١) أي: قِرْبَة بَالِيَة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٥٠٥)، القاموس المحيط (١/ ٦٠٤).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى عَلَى رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي اليُمْنَى يَفْتِلُهَا[١]، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ.

ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتَاهُ المُؤَذِّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ» متفق عليه[٢].

❊❊❊

(١) أي: يدلكها. عمدة القاري (٣/ ٦٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب قراءة القرآن بعد الحَدَث وغيره، رقم (١٨٣)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدُّعاء في صلاة اللَّيل وقيامه، رقم (٧٦٣).

المَبْحَثُ الثَّامِنُ

وَفِيهِ:

١. تَعْلِيمُ النَّاسِ العِلْمَ.

٢. الِانْتِفَاعُ بِالوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ.

تَعْلِيمُ النَّاسِ العِلْمَ

١ - أمر النَّبيُّ ﷺ أن يُعَلِّمَ المرءُ غيرَه ما تَعلَّمَه، فقال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» رواه البخاري[١]، وليس من شرط تبليغ الدِّين أن يكون المُبلِّغُ عالماً بجميع الشَّريعَة.

٢ - مَنْ حصَّل علماً فلْيُعَلِّم أهلَ بيتِه، والأقربين، وعامَّة النَّاس، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

٣ - منفعةُ العلم في البيت وغيرِه تظهرُ على الأولاد في صِغرِهم وكِبَرِهم، قال الإمامُ مالكُ بنُ أنس رحمه الله: «كان السَّلَف يُعَلِّمون أولادَهم حُبَّ أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما كما يُعَلِّمون السُّورةَ من القرآن»[٢].

٤ - ممَّا يُسْتَحسَنُ قراءتُه على النَّاس في المساجد أو في البيت: «ثلاثة الأصول»، و«كتاب التَّوحيد»، و«رياض الصَّالحين»، و«تفسير السعدي»، و«الفُصُول في سيرة الرَّسولِ ﷺ»، و«الإصابة في تمييز الصَّحابة».

---

(١) كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكِر عن بني إسرائيل، رقم (٣٤٦١)، من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧/ ١٣١٣)

٥ - كان والدُ شيخ الإسلام وجدُّه من العلماء، فنشأ شيخُ الإسلام في بيت عِلْمٍ ودينٍ؛ وظهر نبوغُه منذ الصِّغَر، ومن أَثَر تلك النَّشأة: أنَّ شيخَ الإسلام - وعمرُه سبع سنوات - دعا يهوديّاً إلى الإسلام فأسلم، قال البزَّار رَحِمَهُ اللَّهُ: «وُلِد - شيخ الإسلام - في حَرَّان، في عاشر ربيع الأول، سنة إحدى وستِّين وستِّ مئة، وبقي بها إلى أن بَلَغ سبع سنين، ثمَّ انتقل به والدُه رَحِمَهُ اللَّهُ إلى دمشق المحروسة، فنَشَأَ بها أتمّ إنشاء وأزكاه، وأنبتَه اللَّهُ أحسن النَّبات وأوفاه، وكانت مَخَايِل النَّجَابة عليه في صغره لائحة[1]، ودلائل العناية فيه واضحة.

أخبرني مَنْ أَثِق به عمَّن حدَّثه: أنَّ الشَّيخَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حالِ صِغَرِه كان إذا أراد المُضِيَّ إلى المَكتَب[2] يَعْترِضُه يهوديٌّ كان منزلُه بطريقِه بمسائل يَسأَلُه عنها، لِمَا كان يلوح عليه من الذَّكاء والفِطْنَة، وكان يجيبه عنها سريعاً، حتى تعجَّب منه، ثمَّ إنَّه صار كلَّما اجتاز به يُخْبِره بأشياء ممَّا يدُلُّ على بطلان ما هو عليه، فلم يَلْبَث أن أسلمَ وحَسُنَ إسلامُه، وكان ذلك ببَرَكة الشَّيخِ على صِغَر سنِّه»[3].

٦ - مَنْ علَّم غيرَه نال خيراً عظيماً، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «السَّلَفُ مُجْمِعُون على أنَّ العالِمَ لا يَسْتحِقُّ أن يُسمَّى ربَّانيّاً حتى يَعْرِف الحقَّ ويَعْمَل به ويُعَلِّمُه، فمَن عَلِم وعَمِل وعَلَّم، فذاك يُدعَى عظيماً في

---

(١) أي: أنَّ خيرَ الصِّفات ظاهرة عليه. المصباح المنير (١/ ١٨٦، ٢/ ٩٥٣).

(٢) أي: مكان تعليم الكتابة. تاج العروس (٤/ ١٠٤).

(٣) الأعلام العلية (ص١٦).

مَلَكُوت السَّموات»[١]، وقال ابن المُبارَك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا أعلمُ بعد النُّبوَّة درجة أفضل من بثِّ العِلْم»[٢].

(١) زاد المعاد (٣/ ٩).
(٢) تهذيب الكمال (١٦/ ٢٠).

الِانْتِفَاعُ بِالوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ

١ - أَقْسَمَ اللَّهُ أحدَ عَشَرَ قَسَماً متوالياً بأنَّ مَنْ أفسدَ قلبَه فقد خاب وهَلَك، ومَنْ زَكَّى نفسَه من الشُّبُهات والشَّهَوات فقد أفلح، قال سبحانه: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا * وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا * وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا * وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا * وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا * وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

٢ - أَنْعَم اللَّهُ على النَّاس بوسائلَ حديثة يسَّرتْ لهم العلم، وكلُّ نعمةٍ يُنعِمُ اللَّهُ بها على عبادِه يَنقسِمُ فيها العبادُ إلى شاكرٍ وكافرٍ، قال سبحانه عن سليمان عليه السلام: ﴿هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾.

٣ - أخبر النَّبيُّ ﷺ بأنَّ قَطراتِ المطر إذا نزلت إلى الأرض، فمِنَ العباد مَنْ يزيدُ إيمانُه بها، ومنهم مَن تُبْعِدُه عن اللَّه، قال زيد بن خالد الجُهَنيُّ رضي الله عنه: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ[1] كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: **هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟** قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: **أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ:**

فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ.

---

(١) أي: عَقِبَ مطرٍ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٠٦).

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ[(١)] كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ» متفق عليه[(٢)].

فإذا كان النَّاس يُفتَنون في إيمانِهِم بالمطر، فالوسائلُ الحديثةُ من باب أولى قد يفتن بها الإنسان.

٤ - الوسائلُ الحديثةُ من الشَّبكات الإلكترونيَّة ونحوها يتَّخذُها المسلم لتقويم نفسِه وإصلاح غيرِه، ولا يجعلها مَلْهاةً قاتلةً لِزَمَنه، مُضَيِّعةً لأوقاته، مُلَوِّثَةً لأفكاره، مُفْسِدةً لمعتقداته.

٥ - إذا رأى المرءُ من الوسائلِ الحديثةِ شيئاً لا يُحمَد، فليَبْتَعدْ عنها، فالتَّعرُّض لمواطِن الفِتَن والشُّبُهات والمُحرَّماتِ من أسباب الوقوع فيها، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا تعرَّض العبدُ بنفسه إلى البلاء؛ وَكَله اللَّه إلى نفسه[(٣)]»[(٤)].

❊❊❊

(١) أي: بنجم. فتح الباري (١/ ١٩٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام النَّاس إذا سَلَّم، رقم (٨٤٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كُفْر مَن قال: مُطِرْنا بالنَّوْء، رقم (٧١).

(٣) فلا يمكن للعبد أن يقومَ بأمرِ نفسِه، ولم يُعَنْ عليها.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ٥٧٧).

المَبْحَثُ التَّاسِعُ

وَفِيهِ:

١. الحَذَرُ مِنَ الفِتَنِ.

٢. البُعْدُ عَنِ المَعَاصِي.

الحَذَرُ مِنَ الفِتَنِ

١ - الفتن كثيرة، شَبَّه النَّبيُّ ﷺ كثرتها بقَطَراتِ المطر، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنِّي أَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ القَطْرِ**» متفق عليه(١).

٢ - الفِتَنُ منها كبار، ومنها صغار، قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ، مِنْهَا صِغَارٌ، وَمِنْهَا كِبَارٌ**» رواه مسلم(٢).

ومنها ما يَموج كمَوْج البحر، قال حُذيفَةُ رضي الله عنه: «كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ عُمَرَ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الفِتْنَةِ كَمَا قَالَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، وَكَيْفَ قَالَ؟ قَالَ: قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ، وَالصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ.**

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ» متفق عليه(٣).

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب آطام المدينة، رقم (١٨٧٨)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب نزول الفتن كمواقع القَطْر، رقم (٢٨٨٥)، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٢) كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب إخبار النَّبيِّ ﷺ فيما يكون إلى قيام السَّاعة، رقم (٢٨٩١)، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصَّلاة، باب الصَّلاة كفَّارة، رقم (٥٢٥)، ومسلم، كتاب =

٣ - تُعرَضُ الفتن على القلوب كالحَصِير[١] عُوداً عُوداً، قال النَّبيُّ ﷺ: «تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَالحَصِيرِ عُوداً عُوداً، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ[٢] فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ؛ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا[٣] فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدَ مُرْبَادّاً[٤] كَالكُوزِ[٥] مُجَخِّياً[٦] لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَراً، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ» رواه مسلم[٧].

والمراد: كما أنَّ الحَصيرَ يجتمع من الأعواد واحداً واحداً، فكذلك الفِتَنُ تُعرَضُ على القلوبِ واحدةً بعد واحدة، حتى تُغطي الفِتنُ جميعَ القلب وتسوِّده، فإذا اجتمعت في القلب نُكتٌ كثيرة صار القلب أسود مظلماً، فحينئذٍ لا يعرف الخير من الشَّرِّ؛ لانعدام نور القلب.

٤ - نهى الإسلام عن التَّعرُّض للفِتَن، ويوسف عليه السلام هَرَب من الفتن و﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والتَّعرُّضُ للفِتْنَة هو من الذُّنوب»[٨].

= الإيمان، باب بيان أنَّ الإسلامَ بدأ غريباً، وسيعود غريباً، وأنَّه يَأْرِز بين المسجدين، رقم (١٤٤).

(١) الحَصِير: بِسَاطٌ يُصْنَعُ مِنْ سَعَفِ النَّخيل ونحوِه. لسان العرب (٤/ ٢٥٨).

(٢) النَّكت: النُّقطة فِي الشَّيْء تخَالف لَونه. المعجم الوسيط (٢/ ٩٥٠).

(٣) الصَّفا: الحَجَر الأَمْلَس الَّذي لا يعلق به شيء. شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١٧٢).

(٤) أي: صار كلونِ الرَّماد، من الرُّبدة؛ لونٌ بين السَّواد والغبرة. مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٣٧٨).

(٥) الكُوز: مَا اتَّسع رَأسه من أواني الشَّرَاب إذا كَانَت بِعُرىً وآذان. مشارق الأنوار (١/ ٣٤٩).

(٦) أي: مائلاً مَنْكُوساً. مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٣٧٨).

(٧) كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، وأنَّه يَأْرِز بين المسجدين، رقم (١٤٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٨) الآداب الشرعية (٣/ ٤٦٢).

٥ - مَنْ عَرَّضَ نفسَه للفِتَن لم يَخْلُص منها، ومَنْ تَطلَّع إليها أَخَذَتْه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ**[١]» متفق عليه[٢].

٦ - نَصيحةُ العُلَماء البُعْدُ عن الفِتَن، قال ابن القيِّم رحمه الله: «قال لي شيخ الإسلام رضي الله عنه وقد جعلت أُوردُ عليه إيراداً بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشُّبُهات مثل السِّفِنْجَة[٣]، فيَتَشرَّبها فلا يَنْضِح[٤] إلَّا بها، ولكن اجعله كالزُّجاجة المُصْمَتة[٥] تمُرُّ الشُّبُهات بظاهرها ولا تَسْتَقِر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلَّا فإذا أَشْرَبْتَ قلبك كلَّ شبهة تَمُرُّ عليه صار مَقَرّاً للشُّبُهات، أو كما قال، فمَا أَعلمُ أنِّي انتفعت بوصيَّة في دَفْع الشُّبُهات كانتفاعي بذلك»[٦].

٧ - العِصْمَة من الفِتَن تكون:

أ. بالدُّعاء، قال النَّبيُّ ﷺ للصَّحابة رضي الله عنهم: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» رواه مسلم[٧].

ب. بالبُعد عن الفتن وإغلاق أيِّ سبيلٍ تَصِل منه إليك.

ج. بمَلْءِ الوقت بما يَنْفَعُ في الآخرة.

---

(١) أي: مَنْ قَرُبَ من الفِتَن، ونَظَرَ إليها نظرتْ إليه فَوَقَع فيها. مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٣٨٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النُّبوَّة في الإسلام، رقم (٣٦٠١)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، رقم (٢٨٨٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أي: الإسفنجة المعروفة التي تتشرَّب الماء. (٤) أي: فلا يرتوي. تاج العروس (٧/ ١٨٠).

(٥) المُصْمَتة: غير المجوفة؛ فهي لا يدخلها شيء. (٦) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠).

(٧) كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب عَرْض مَقْعَد الميِّت من الجنَّة أو النَّار عليه، رقم (٢٨٦٧)، من حديث زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه.

البُعْدُ عَنِ المَعَاصِي

١ - تَشْرُفُ النُّفُوس وتَعظُمُ بطاعة اللَّه، وتَصغُرُ بمعصية اللَّه، فصاحبُ المعصية ذليل، والمَهَانةُ محيطةٌ به وإنْ تَظَاهَر بالعزَّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**وجُعِلَتِ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**» رواه أحمد[1]، قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَبَى اللَّهُ إلَّا أن يُذِلَّ مَنْ عصاه»[2].

٢ - ما في الدُّنيا من شرٍّ وداءٍ إلَّا وسببه الذُّنوب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فممَّا ينبغي أن يعلم أنَّ الذُّنوب تَضرُّ ولا بد، وأنَّ ضررها في القلوب كضرر السُّموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضَّرر»[3].

٣ - كلَّما صَغُر الذَّنْب في عَيْن العبد عَظُم عند اللَّه، وإيَّاك ومُحَقَّرَات الذُّنوب، فإنَّهنَّ إذا اجتمعنَ على الرَّجل أهْلَكْنَه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ**» رواه أحمد[4].

وقال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ

---

(١) في المسند، رقم (٥١١٤).
(٢) تاريخ الطبري (١١/ ٦٣٨).
(٣) الجواب الكافي (ص٩٨).
(٤) في المسند، رقم (٢٢٨٠٨).

الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ» رواه البخاري[(١)].

٤ - الذَّنبُ ليس مقتصراً على فِعْل المعصية فحسب، بل إنَّ التَّقصير في أداء الواجب من جملة المآثم، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والمعاصي فَرْعَان: تَرْكُ واجب، وفِعْلُ محرَّم، فمَنْ تَرَك أداءَ الواجب مع القدرة عليه فهو عاصٍ»[(٢)].

ومَنْ لم يتقدَّم بالطَّاعة، تأخَّرَ بالتَّقصير، قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

٥ - المعاصي تُزِيلُ نورَ القلب وبَرَكَةَ العلم، قال سبحانه: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «إنَّ للسَّيِّئة ظلمةً في القلب، وسواداً في الوجه، وَوَهَناً في البَدَن، ونقصاً في الرِّزق، وبُغضاً في قلوب الخلق»[(٣)].

٦ - أثرُ الذُّنوب قد يظهر على مَنْ تحت يد العاصي، قال الفُضَيل بن عِيَاض رحمه الله: «إنِّي لأَعصي اللَّه فأعرف ذلك في خُلُق حِمَاري وخَادِمِي»[(٤)].

٧ - العاصي يتأذَّى منه الشَّجر والدَّواب، قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**» متفق عليه[(٥)].

---

(١) كتاب الرِّقاق، باب ما يُتَّقى من مُحَقَّرات الذنوب، رقم (٦٤٩٢).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٠/ ٣٩). (٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٥/ ٢٨٢).

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٠٩).

(٥) رواه البخاري، كتاب الرِّقاق، باب سَكَرات الموت، رقم (٦٥١٢)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه، رقم (٩٥٠)، من حديث أبي قتادة بن رِبْعِيٍّ رضي الله عنه.

٨ - تَوَهَّم بعض النَّاس في أَمْرِ الذَّنب؛ إذ لم يَرَوْا تأثيرَه في الحال، فقد يتأخَّرُ تأثيرُه، وينسون أنَّه من أَثَر الذَّنب، قال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

٩ - مِنْ عقوبة المعصية: نسيانُ العِلْم، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا قيل: إنَّ مِنْ ثواب الحسنةِ الحسنةَ بعدها، وإنَّ مِنْ عقوبةِ السَّيِّئةِ السَّيِّئةَ بعدها.

وكذلك العمل السَّيِّئ - مثل الكذب مثلاً - يعاقَب صاحبُه في الحال بظلمةٍ في القلب، وقسوةٍ وضيقٍ في صدره، ونفاقٍ، واضطرابٍ، ونسيانِ ما تعلمه، وانسدادِ بابِ علمٍ كان يطلبه»[١].

بل وقد يُحرم من العلم، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وللمعاصي من الآثارِ القَبيحةِ المَذْمُومةِ، منها حرمانُ العِلم؛ فإنَّ العِلمَ نورٌ يَقْذِفُه اللَّهُ في القلب، والمعصيةُ تُطْفِئ ذلك النُّور.

ولمَّا جلس الإمام الشَّافعيُّ بين يدي مالكٍ، وقرأ عليه، أَعْجَبَه ما رَأَى من وُفُور[٢] فِطْنَتِه، وتوقُّد ذكائِه، وكمال فهمِه، فقال: (إنِّي أرى اللَّه قد أَلْقَى على قلبِك نوراً، فلا تُطْفِئْهُ بظلمةِ المعصية))»[٣].

١٠ - مَنْ ترك ذنباً خوفاً من اللَّه، عوَّضَه اللَّهُ خيراً كثيراً، قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا الإِخْلَاصَ والأَدَبَ في طَلَبِ العِلْمِ وَغَيْرِهِ.

وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على نَبِيِّنا مُحمَّدٍ، وعلى آلِه وأصحابِه أجمعين.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٣٩٦).

(٢) أي: تمام.

(٣) الجواب الكافي (ص١٣٢).

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ

مُتُونُ طَالِبِ العِلْمِ

المُسْتَوَى الأَوَّلُ
- ❖ الأَذْكَارُ وَالآدَابُ.
- ❖ مُخْتَصَرُ الأَذْكَارِ وَالآدَابِ.

المُسْتَوَى الثَّانِي
- ❖ الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ.
- ❖ القَوَاعِدُ الأَرْبَعُ.
- ❖ نَوَاقِضُ الإِسْلَامِ.
- ❖ الأَرْبَعُونَ النَّوَوِيَّةُ.

المُسْتَوَى الثَّالِثُ
- ❖ تُحْفَةُ الأَطْفَالِ.
- ❖ شُرُوطُ الصَّلَاةِ.
- ❖ كِتَابُ التَّوْحِيدِ.

المُسْتَوَى الرَّابِعُ
- ❖ مَنْظُومَةُ البَيْقُونِيِّ.
- ❖ مَنْظُومَةُ الإِلْبِيرِيِّ.
- ❖ المُقَدِّمَةُ الآجُرُّومِيَّةُ.
- ❖ العَقِيدَةُ الوَاسِطِيَّةُ.

المُسْتَوَى الخَامِسُ
- ❖ الوَرَقَاتُ.
- ❖ عُنْوَانُ الحِكَمِ.
- ❖ مَنْظُومَةُ الرَّحَبِيَّةُ.
- ❖ العَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّةُ.

المُسْتَوَى السَّادِسُ
- ❖ بُلُوغُ المَرَامِ.
- ❖ زَادُ المُسْتَقْنِعِ.
- ❖ أَلْفِيَّةُ ابْنِ مَالِكٍ.

المُسْتَوَى السَّابِعُ
- ❖ الجَامِعُ لِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ.
- ❖ أَفْرَادُ البُخَارِيِّ.
- ❖ أَفْرَادُ مُسْلِمٍ.
- ❖ الزَّوَائِدُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ.

المُتُونُ الإِضَافِيَّةُ
- ❖ الشَّاطِبِيَّةُ.
- ❖ الجَزَرِيَّةُ.
- ❖ كَشْفُ الشُّبُهَاتِ.
- ❖ العُمْدَةُ فِي الأَحْكَامِ.
- ❖ المُحَرَّرُ فِي الحَدِيثِ.
- ❖ نُخْبَةُ الفِكَرِ.
- ❖ أَلْفِيَّةُ العِرَاقِيِّ فِي المُصْطَلَحِ.
- ❖ أَلْفِيَّةُ السُّيُوطِيِّ فِي المُصْطَلَحِ.
- ❖ أَلْفِيَّةُ العِرَاقِيِّ فِي السِّيرَةِ.
- ❖ لَامِيَّةُ الأَفْعَالِ.

صدر للمؤلف

- ❖ تَحْقِيقُ شَرْحِ ثَلَاثَةِ الأُصُولِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ﷀ.
- ❖ تَحْقِيقُ شَرْحِ كَشْفِ الشُّبُهَاتِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ﷀ.
- ❖ تَحْقِيقُ شَرْحِ الوَاسِطِيَّةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ﷀ.
- ❖ تَحْقِيقُ شَرْحِ آدَابِ المَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ﷀ.
- ❖ تَحْقِيقُ شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ﷀ (٤) مُجَلَّدَاتٍ.
- ❖ تَحْقِيقُ نُزْهَةِ النَّظَرِ فِي تَوضِيحِ نُخْبَةِ الفِكَرِ.
- ❖ المَسْبُوكُ عَلَى مِنْحَةِ السُّلُوكِ (٤) مُجَلَّدَاتٍ.
- ❖ شُرُوطُ حَدِّ السَّرِقَةِ عَلَى المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ.
- ❖ الخُطَبُ المِنْبَرِيَّةُ (٤) مُجَلَّدَاتٍ.
- ❖ تَيْسِيرُ الوُصُولِ شَرْحُ ثَلَاثَةِ الأُصُولِ.
- ❖ القَوَاعِدُ الوَاضِحَاتُ فِي الأَسمَاءِ والصِّفَاتِ.
- ❖ تَحْقِيقُ الأَطْوَالِ الشَّرْعِيَّةِ، وَتَحْدِيدُهَا بِالأَطْوَالِ المُعَاصِرَةِ.
- ❖ تَحْقِيقُ المَكَايِيلِ الشَّرْعِيَّةِ، وَتَحْدِيدُهَا بِالأَوْزَانِ المُعَاصِرَةِ.
- ❖ أَسهَلُ طَرِيقَةٍ لِحِفظِ القُرآنِ الكَرِيمِ وَطَلَبُ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ.
- ❖ المَدِينَةُ المُنَوَّرَةُ.
- ❖ خُطُوَاتٌ إِلَى السَّعَادَةِ.
- ❖ القَاعِدَةُ المَدَنِيَّةُ: تَعْلِيمُ القِرَاءَةِ لِلمُبتَدِئِينَ.
- ❖ القَاعِدَةُ المَدَنِيَّةُ: تَعْلِيمُ الكِتَابَةِ لِلمُبتَدِئِينَ.
- ❖ فَضَائِلُ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ.
- ❖ الوَصِيَّةُ وَالوَقْفُ «خُطُوَاتٌ عَمَلِيَّةٌ لِكِتَابَتِهِمَا».
- ❖ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ.
- ❖ كَيْفِيَّةُ حَلِّ السِّحْرِ.
- ❖ طَرِيقَةٌ لِتَرْكِ التَّدْخِينِ.
- ❖ الإجازة في القرآن الكريم والسنة النبوية عن بعد.
- ❖ أَحَادِيثُ الدَّجَّالِ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ مُوَضَّحَةً بِالخَرَائِطِ.

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-١٠٨٠-٤